

عقائد فاسدة

«إياكم وبُنيّات الطريق»

عقائـــد فاســـدة

● لنا اللَّه في مصيبتنا، ونحن نـرى زخاريف الشيطان، وقد كثر المغترّون بتمـويهاتها، وتـباهي الزائغون والجـاهلون بلبـس حلتها، وعُـبدت الأهواء، واستعمـلت الآراء، وقامت سوق الفتـنة، وانتشرت أعلامهـا، وظهرت الردة وانكشف قنـاعها، وقُدِحت زناد الزندقـة، فأضرمت نيرانها، وخـلف محمد ﷺ في أمتـه بأقبح الخـلف، وعظمـت البليـة، واشتدت الرزيـة، وظهر المبتـدعون، وتنطع المتـنطعون، وانتـشرت البدع، ومات الورع، واتـخذ أهل الإلحاد رءوسًا وأربابًا، ونعق إبليس بأوليائه نعقة فاستجابوا له من كل ناحية، وأقبلوا نحوه مسرعين من كل قاصية، فأُلبسوا شيعًا ومُيِّزوا قِطعًا، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«يكون في آخر الزمان دجّالون كذّابون، يأتونكم من الأحاديـث بما لم تسـمعوا أنتم ولا آبـاؤكم، فإياكم وإيـاهم، لا يضلـونكم ولا يفتنونكم»**(١).

● وقــال ﷺ: **«افترقت اليـهود على إحدى وسبعين فـرقة، فواحدة في الجنة، وسـبعون في النـار، وافترقت النصـارى على اثنـين وسبعين فرقـة، فإحدى وسبعون في النار، وواحـدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفـترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار»**(٢).

● وعن أنس بـن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسـول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّـه**

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٢) **صحـيح**: رواه ابن ماجه، عن عوف بن مالك، وصححـه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٨٢).

حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»[١] .

● ولله در ابن عباس ﷺ إذ يقول: والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحبّ إلى الشيطان هلاكًا مني. فقيل: وكيف؟ فقال: والله إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب، فيحملها الرجل إليّ، فإذا انتهت إليّ قمعتها بالسنة، فترد عليه كما أخرجها»[٢] .

قال مالك ـ رحمه الله ـ: مهما تلاعبت به من أمر شيء، فلا تلاعبن بأمر دينك.

وقال الفضيل: من جلس إلى صاحب بدعة، ورّثه الله العمى.

وقال إبراهيم بن ميسرة: من وقّر صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام. وإنا والله لا نوقرهم، بل نفضحهم على رءوس الأشهاد ونعرّيهم في البلاد ونبيّن للناس بدعتهم... ونصيح في الناس: وا إسلاماه... من للقرآن... مَن للسنة يعلي صرحها... من للبدعة يقمعها، من لطريق السلف... المحجة البيضاء يسلكها حتى تكون خاتمة مطافه في الجنة بإذن الله.

وهذي بعض عقائد أهل البدع نبيّن زيفها وترهاتها:

الرجعة عند الشيعة والصوفية

إن من ألوان تقديس الأموات والغلو فيهم أن يعتقد أن الميت وليًّا كان أم نبيًّا لا بد أن يرجع إلى الدنيا، أو أنه متى ما أراد أن يعود إلى بيته

(١) **صحيح**: رواه البزار، وقال المنذري: إسناده حسن. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٥).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١/ ٥٥).

عـاد وكلم أهـله وذويه، وتفقَّـد أتـباعه ومريـديه، وربما أعـطاهم أورادًا إلى غيـر ذلـك مما يعبـر عن عقيـدة موغلة في الجاهـلية بعيـدة عن عـقيـدة الإسـلام الصافية(١) .

قال ابن الأثيـر: «والرجعة مذهب قوم مـن العرب في الجاهلـية معروف عندهم، ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أُولي البدع والأهواء، يقولون: إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيًّا كما كان، ومن جملتهم طائفة من الرافضة يقولون: إن علي بن أبي طالب مستتر في السحاب فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي مناد من السماء: اخرج مع فلان»(٢) .

وفي «الموسوعة العربية»: «رجعة: العودة يراد بها رجوع الإمام بعد موته أو غيبته. أول من قال بها عبد اللَّه بن سبأ، ثم اعتنقها الشيعة، يعذب الإمام الراجع كل من أساء إلى الشيعة في حياته الأولى»(٣) .

وبما سبق نعلم:

- أن معنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت لغرض من الأغراض.
- أن فرقًا من المبتدعة وأهل الأهواء هم الذين يؤمنون بتلك العقيدة.
- ونلاحظ أن الرجعة ربما أُطلقت على اعتقاد بعضهم أن المقدَّس لم يمت ولكنه مستتر، أو مختف أو غائب إلى آخر ما هنالك من المعاني المشابهة.

يقول أحـمد الأحسائـي: «اعلم أن الرجعـة في الأصل يراد بـها رجوع الأموات إلى الدنيا كأنهم خرجوا منها ورجعوا إليها، وقد تستعمل فيمن غاب

---

(١) «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» لمحمد أحمد لوح (٢/ ٩) ـ دار الهجرة.
(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير مادة: (ر ج ع).
(٣) (١/ ٨٦٣).

وآب فإنه خرج من أهله ورجع إليهم»(١) .

● أول من نادى بهذه العقيدة في الإسلام هو عبد اللَّه بن سبأ اليهودي اليماني، وهذا ما أكده النوبختي الشيعي في قوله: «ولما بلغ عبد اللَّه بن سبأ نعي علي بالمدائن، قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض»(٢) .

وإذا تقرر هذا علمنا أن الشيعة هم أول من دعا في الإسلام إلى عقيدة الرجعة وأنِ جذورها رافضية محضة، ومما يؤكد اهتمام الرافضة بنشر هذه العقيدة:

● أنهم حاولوا كثيراً أن يجدوا من القرآن الكريم آيات تقوي هذا المذهب، فيقول الكاشاني - وهو يشرح قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ [البقرة: ٣] «يدخل فيه ما غاب عن حواسهم من توحيد اللَّه، ونبوة الأنبياء، وقيام القائم، والرجعة، والبعث، والحساب»(٣) .

وهذا النص - بالإضافة إلى محاولة صاحبه الاستدلال على الرجعة بالقرآن - يدل من وجه آخر على أهمية الرجعة عندهم حيث جعلها من نظائر الإيمان باللَّه، وبالأنبياء، وبالبعث والحساب.

كما تحدث الأحسائي عن مكانة الرجعة عندهم، فقال: «سر من سر اللَّه والقول بها ثمرة الإيمان بالغيب»(٤) .

---

(١) «الرجعة» ص(٤١).

(٢) «فرق الشيعة» ص(٤٤).

(٣) «الصافي في التفسير» (١/٥٨).

(٤) «الرجعة» ص(١١).

وقال أيضًا: «هي من شرائط الإيمان الكامل»(١) .

روى العقيلي بسنده عن سفيان الثوري قال: سمعت رجلاً سأل جابرًا الجعفي عن قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]، قال جابر: لم يأت تأويل هذه الآية بعد. قال سفيان: وكذب. قال الحميدي ـ الراوي عن الثوري ـ فقلنا لسفيان: وما أراد بهذا؟ فقال: إن الرافضة تقول: إن عليًّا في السحاب فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي مناد من السماء، يريد أن عليًّا ينادي من السحاب: اخرجوا مع فلان، يقول: فهذا تأويل هذه الآية. وكذب. هذه كانت في إخوة يوسف(٢) .

قال الآلوسي: «أول من قال بالرجعة عبد اللَّه بن سبأ، ولكن خصها بالنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وتبعه جابر الجعفي في أول المائة الثانية، فقال برجعة الأمير كرم اللَّه وجهه لكن لم يوقتها بوقت، ولما أتى القرن الثالث قرر أهله من الإمامية رجعة الأئمة كلهم وأعدائهم وعينوا لذلك وقت ظهور المهدي»(٣) .

قلت: في كون عبد اللَّه بن سبأ خص القول بالرجعة بالنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم نظر؛ لأن عامة المصادر التي ترجمته وذكرت عقيدته في الرجعة قد ذكرت إيمانه برجعة علي بن أبي طالب ﷺ، بما في ذلك المصادر الشيعية كما سبق عن النوبختي آنفًا.

---

(١) «تقديس الأشخاص» (٢/ ١١).
(٢) «الضعفاء الكبير» للعقيلي (١/ ١٩٣ ـ ١٩٤).
(٣) «روح المعاني» (٢٠/ ٢٧).

وفي دعاء مأثور عن الإمامية يتوجه به الداعي إلى الأئمة ورد قولهم: «أنتم الأول والآخر وإن رجعتكم حق»(١) .

● بالنظر إلى ما أحصاه آغا برزك الطهراني نجد أن عدد مؤلفات الشيعة المتعلقة بالرجعة يبلغ (٣٢) كتابًا(٢) .

● أن الأخ ضياء الدين أبرلي أورد في رسالته «عقيدة الرجعة عند الشيعة» جدولاً بأسماء المقدسين الذين أُدعي أنهم يرجعون إلى الدنيا بعد موتهم، أو بعد غيبتهم فبلغ عددهم (٢٢) رجلاً ابتداء من علي بن أبي طالب إلى الحاكم بأمر اللَّه(٣) .

ويذكر الشيبي: «أن الرجعة تطورت حتى ألصقت بأربعين شخصًا من أصاب محمد بن الحنفية وأنهم يرجعون معه في قيامه»(٤) .

● ومهدي الشيعة الإمامية المنتظر محمد بن الحسن العسكري بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين، قالوا عنه: إنه حي لم يمت ولا يموت؛ حتى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً.

وللمهدي المنتظر (القائم كما يسمونه) غيبتان غيبة قصيرة لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى الغيبة الطولى ولا تكون إلا في آخر الزمان، ويقولون: إنه مستقر في سرداب سامراء. وأنه يشهد الموسم «الحج» فيراهم ولا يرونه وللشيعة دعاء معروف رووه عن أئمتهم يُعرف بدعاء الندبة، أمروا

---

(١) الطبرسي: «الاحتجاج» ص(٤٩٢ ـ ٤٩٤).

(٢) «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (١/ ٩٠ ـ ٩٥).

(٣) ص(٣٣٧).

(٤) «الصلة بين التصوف والتشيع» ص(١١٢) عن «المهدية في الإسلام» لسعد محمد حسن ص(١٠٥).

بقراءته في الأعياد الأربعة، وفيه ما يخاطب به إمام زمانه الحجة عليه السلام (أي: مهدي الشيعة)

ليت شعري استقرّت بك النوى ... بل أي أرض تقلك أو ثرى
أبرضوى أم بغيرها، أم بذي طوى[1]

هذا على اختلافهم في مكان غيبته.

وما أحسن ما قاله القائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... صيرتموه بزعمكم إنسانا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

* كيف يرجع وأين يرجع؟:

فيعتقد القوم أن جعفرًا قال:

ينادى باسم القائم في يوم ستة وعشرين من شهر رمضان، ويقوم في يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي لكأني به يوم السبت العاشر من المحرم قائمًا بين الركن والمقام، جبرائيل بين يديه ينادي بالبيعة له فتسير شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طيًّا؛ حتى يبايعوه، فيملأ اللَّه به الأرض عدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا»[2].

ثم يبينوا كيف يجتمع الشيعة للقائم، فقالوا:

إذا أذن الإمام، دعا اللَّه باسمه العبراني[3] فاتيحت (فانتخب) له صحابته الثلاثمائة والثلاثة عشر، قزع كقزع الخريف. فهم أصحاب الألوية. منهم من

---

(١) انظر: كتاب «الشيعة والتشيع» للشيخ إحسان إلهي ظهير.
(٢) «أعلام الورى» للطبرسي ص(٤٥٩) نقلاً عن «الشيعة والتشيع» ص(٣٧١).
(٣) ألا تدل هذه اللفظة على معنى متوارث عن القوم الذين يتكلمون بالعبرانية.

يفقد عن فراشه ليلاً فصبح بمكة. ومنهم من يرى يسير في السحاب نهاراً يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبته. قلت: جعلت فداك أيهم أعظم إيمانًا؟ قال: الذي يسير في السحاب نهاراً... وهم المفقودون، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾[١].

ويقولون أيضًا: إن أول من يبايعه هو جبريل «يأتيه ويسأله، ويقول له: إلى أي شيء تدعو؟ فيخبره القائم، فيقول جبريل: فأنا أول من يبايع، ثم يقول له: مدّ كفك، فيمسح يده على يده»[٢].

● ويكون بين يديه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثمائة وعشر ملكًا:

قال مفتريهم وكاذبهم: «قلت: كل هؤلاء الملائكة؟ قال [أي: محمد الباقر]: نعم، الذين كانوا مع نوح في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم حين ألقي في النار، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبني إسرائيل، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه اللَّه إليه. وأربعة آلاف ملك كانوا مع النبي صلى اللَّه عليه وآله مسومين، وألف مردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملائكة بدريين. وأربعة آلاف هبطوا يريدون القتال مع الحسين، فلم يؤذن لهم في القتال... وكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام إلى وقت خروجه عليه صلوات اللَّه والسلام»[٣].

وأورد مثل ذلك النعماني في كتاب «الغيبة»[٤].

وزاد على ذلك أن الذي يحمل رأيته يوم ذاك يكون جبرائيل، ويكون

---

(١) «الغيبة» للنعماني ص(١٦٩) نقلاً عن كتاب «تاريخ ما بعد الظهور» ص(٣٧٢، ٣٧٣).
(٢) «أعلام الورى» للطبرسي ص(٤٦٠ ـ ٤٦١)، و«إكمال الدين» لابن بابويه القمي.
(٣) «كامل الزيارات» لابن قوليه ص(١٢٠).
(٤) ص (٣٠٩ ـ ٣١٠).

عمودها من عمد عرش اللَّه تعالى»[١] .

● ولا يقتل القائم خصومه من الأحياء فقط بل يبدأ بالأموات فيحييهم، ثم يقتلهم» كما ذكروا أنه في عصره يحيي يزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلون حذو القذة بالقذة[٢] . وليس هذا فحسب بل جازفوا في القول حتى قالوا: «لو قام قائمنا ردّ الحميراء ـ أي: أم المؤمنين عائشة ـ حتى يجلدها الحدّ وينتقم لابنة محمد ﷺ»[٣] .

«إنْ يقولون إلاّ كذبًا»

يقول الجزائري صاحب «الأنوار النعمانية»، وهو كذّاب أشِر:

«إن المفضل بن عمر روى عن جعفر أنه قال: إن بقاع الأرض تفاخرت ففخرت الكعبة على بقعة كربلاء، فأوحى اللَّه عز وجل إليها أن اسكتي يا كعبة ولا تفخري على كربلاء؛ فإنها البقعة المباركة التي قال فيها لموسى عليه السلام إني أنا اللَّه، وهي موضع المسيح وأمه وقت ولادته؛ وإنها الدالية التي غسل بها رأس الحسين بن علي عليهما السلام؛ وهي التي عرج منها محمد صلى اللَّه عليه وآله؛ وقال له المفضل: يا سيدي يسير المهدي إلى أين؟ قال: إلى مدينة جدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم، فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب، يظهر فيه سرور المؤمنين وخزي الكافرين، فقال المفضل: يا سيدي ما هو ذاك؟ قال: يرد إلى قبر جده، فيقول: يا معشر الخلائق هذا قبر جدي، فيقولون: نعم يا مهدي آل محمد، فيقول: ومن معه في القبر؟

---

(١) انظر: كتاب «الغيبة» للنعماني ص(٣٠٩).
(٢)«بحار الأنوار» (١٣/ ٢١٩).
(٣) «تفسير الصافي» ص(٣٥٩).

فيقولون: صاحباه (مصاحباه خ) وضجيعاه أبو بكر وعمر، فيقول عليه السلام وهو أعلم الخلق: من أبو بكر وعمر؟ وكيف دفنا من بين الخلق مع جدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم وعسى أن يكون المدفون غيرهما، فيقول الناس يا مهدي آل محمد: ما ها هنا غيرهما وإنهما دفنا معه؛ لأنهما خليفتاه وآباء زوجتيه، فيقول: هل يعرفهما أحد؟ فيقولون: نعم نحن نعرفهم بالوصف، ثم يقول: هل يشك أحد في دفنهما هنا؟ فيقولون: لا، فيأمر بعد ثلاثة أيام ويحفر قبرهما ويخرجهما، فيخرجان طريين كصورتهما في الدنيا فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نحزة فيصلبهما عليها، فتتحرك الشجرة وتورق وترفع ويطول فرعها، فيقول المرتابون من أهل ولايتهما هذه واللَّه الشرف حقًّا ولقد فزنا بمحبتهما وولايتهما، فينشر خبرهما فكل من بقلبه حبة خردل من محبتهما يحضر المدينة فيفتنون بهما فينادي مناد المهدي عليه السلام: هذان مصاحبا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله فمن أحبهما فليكن في معزل ومن أبغضهما يكن في معزل؛ فيتجزء الخلق جزئين، موال ومعاد، فيعرض على أوليائهما البراءة منهما، فيقولون: يا مهدي ما كنا نبرأ منهما، وما كنا نعلم أن لهما عند اللَّه هذه الفضيلة فكيف نبرأ منهما، وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من نضارتهما وغضاضتهما وحياة الشجرة بهما، بلى واللَّه نبرأ منك وممن آمن بك وممن لا يؤمن بهما وممن صلبهما وأخرجهما وفعل ما فعل بهما، فيأمر المهدي عليه السلام ريحًا فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية، ثم يأمر بإنزالهما فينزلان فيحييهما بإذن اللَّه ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقص عليهم قصص فعالهم في كل كور ودور حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم وجمع النار لإبراهيم وطرح يوسف في الجب وحبس يونس في بطن الحوت، وقتل يحيى وصلب عيسى، وعذاب

جرجيس ودانيال، وضرب سلمان الفارسي، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين، وفاطمة والحسين عليهما السلام، وإرادة إحراقهم بها، وضرب الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بسوط ورفس بطنها وإسقاطها محسنًا، وسم الحسن وقتل الحسين عليه السلام وذبح أطفاله وبني عمه وسبي ذراري رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله، وإراقة دماء آل محمد، وكل دم مؤمن وكل فرج نكح حرامًا، وكل رباء أكل وكل خبث وفاحشة وظلم منذ عهد آدم إلى قيام قائمنا، كل ذلك يعدده عليهما ويلزمهما إياه ويعترفان به، ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت مظالم من حضر، ثم يصلبهما على الشجرة ويأمر نارًا تخرج من الأرض تحرقهما والشجرة، ثم يأمر ريحًا فتنسفهما في اليم نسفًا.

قال المفضل: يا سيدي هذا آخر عذابهما؟ قال: هيهات يا مفضل واللَّه ليردن وليحضرن السيد الأكبر محمد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم والصديق الأعظم أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضًا وكل من محض الكفر محضًا وليقتصن منهما بجميع المظالم، ثم يأمر بهما فيقتلان في كل يوم وليلة ألف قتلة ويردان إلى أشد العذاب»[1] .

رجعة الأئمة مع رجعة القائم

ثم إن الشيعة الاثنى عشرية لا يعتقدون برجعة القائم فحسب، بل وأكثر من ذلك يعتقدون بأن أئمتهم يرجعون أيضًا إلى الدنيا مثل رجوع قائمهم،

---

(١) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٨٦، ٨٧).

ويبقون، ويملكون، وينتقمون من الأعداء ويقتلونهم، كما روى المجلسي عن جعفر أنه قال:

أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي، وإن الرجعة ليست بعامة وهي خاصة، لا يرجع إلا من محض الإيمان محضًا، أو محض الكفر محضًا»[١] .

ورووا عن أبيه الباقر أنه قال:

إن أول من يرجع إلى الدنيا لجاركم الحسين بن علي عليه السلام، فيملك حتى يقع حاجباه على عينيه من الكبر»[٢] .

ولا الحسين وحده فحسب، بل يرجع معه سبعون رجلاً من أصحابه الذين قتلوا معه[٣] .

وفي رواية: أن الحسين يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفًا من الرجال ويملك الدنيا كلها بعد وفاة المهدي عليه السلام ثلاث مائة سنة وتسع سنين[٤] .

ويرجع معه يزيد بن معاوية وأصحابه ليأخذ الحسين وأصحابه ثأرهم منهم[٥] .

---

(١) «بحار الأنوار» للمجلسي (١٣/ ٢١٠)، «الصافي» (١/ ٩٥٩).

(٢) «بحار الأنوار» (١٣/ ٢١١)، «البرهان» (٢/ ٤٠٧)، «الصافي» (١/ ٩٥٩)، «إثبات الهداة» للعاملي (٧/ ١٠٢).

(٣) «تفسير العياشي» (٢/ ١٨١).

(٤) «الأنوار النعمانية» للجزائري (٢/ ٩٨، ٩٩).

(٥) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٨٢)، «البرهان» (٢/ ٤٠٨)، «الصافي» (١/ ٢٥٩) تحت قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾، «بحار الأنوار» (١٣/ ٢١٩).

ويساعد الحسين وأصحابه في أخذ ثأرهم وانتقامهم من يزيد وعساكره سبعون نبيًّا ورسولاً، ويكون أحدهم إسماعيل، كما حكى الجزائري حكاية باطلة بقوله:

وفي الأخبار الكثيرة عن بريد العجلي أنه سأل الصادق عليه السلام عن قول اللَّه تعالى في إسماعيل: إنه كان صادق الوعد، ما المراد بإسماعيل هذا أهو ابن إبراهيم؟ فقال عليه السلام:

لا بل هو إسماعيل بن حزقيل بعثه اللَّه إلى جماعة فكذبوه وسلخوا جلد وجهه ورأسه، فبعث اللَّه عليهم ملك العذاب وهو سطاطائيل، فأتى إلى إسماعيل وقال: إن اللَّه أرسلني إليك بما تأمر في عذابهم، فقال إسماعيل عليه السلام: لا حاجة لي في عذابهم، فأوحى اللَّه سبحانه إليه: إن كان لك حاجة إليّ فاطلبها، فقال: يا رب إنك أخذت علينا معاشر الأنبياء أن نوحدك ونقر بنبوة محمد صلى اللَّه عليه وآله وبإمامة الأئمة عليهم السلام، وأخبرت الخلائق بما يفعل الظالمون بولده الحسين ووعدت الحسين عليه السلام بالرجوع إلى الدنيا ليأخذ ثأره وينتقم من ظالميه، فحاجتي يا رب أن ترجعني في زمانه! لأجل أخذ ثأري وقتل من قتلني، فقبل اللَّه حاجته وجعله من الذين يرجعون في زمان الحسين عليه السلام، وفي رواية أخرى: أن الحسين عليه السلام يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفًا من الرجال»[١] .

وقالوا: إن الأئمة الاثنى عشرية كلهم يرجعون إلى الدنيا في زمن القائم مع جماعتهم[٢] .

---

(١) «الأنوار النعمانية» للجزائري (٢/ ٩٨).

(٢) «الصافي» (١/ ٣٤٧).

ويرجع عليّ ونبيّ أيضًا

ولا يرجع الحسين وأصحابه ومعاوية ويزيد وأصحابه وسبعون نبيًّا ممن مضوا في سالف الزمان وحدهم، بل ويرجع رسول اللّه صلوات اللّه وسلامه عليه وعليّ أيضًا، كما روى المجلسي عن بكير بن أعين أنه قال:

قال لي من لا أشك فيه يعني أبا جعفر رضي الله عنه أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وعليًّا سيرجعان»[1] .

ورووا عن جعفر أنه قال:

قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : «لقد أسرى بي ربي عز وجل، فأوحى إليّ من وراء حجاب ما أوحى وكلمني بما كلم به وكان مما كلمني به.. يا محمد، عليّ آخر من أقبض روحه من الأئمة»[2] .

وليس هذا فحسب، بل وأكثر من ذلك، وأدهى وأمر أنهم يروون عن جعفر أنه قال:

«لم يبعث اللّه نبيًّا ولا رسولاً إلا ردهم جميعًا إلى الدنيا؛ حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام»[3] .

وعنه أيضًا أنه قال:

«لا يبعث اللّه نبيًّا ولا رسولاً إلا رد إلى الدنيا من آدم فهلم جرًّا؛ حتى يقاتل بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام»[4] .

---

(١) «بحار الأنوار» للمجلسي (١٣/ ٢١٠).

(٢) «بحار الأنوار» للمجلسي (١٣/ ٢١٧).

(٣) «نور الثقلين» (١/ ٣٥٩)، «بحار الأنوار» (١٣/ ٢١٠).

(٤) «العياشي» (١/ ٢٨١) تحت قول اللّه: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾، «البرهان» (١/ ٢٩٥)، «بحار الأنوار» ص(٢١٧).

مع من فيهم سيد الأنبياء وإمام المرسلين.

كما روى الجزائري عن الباقر أنه قال: إن عليًّا ﷺ خطب خطبة ذات يوم، فحمد اللَّه فيها، وقال فيها ما قال، ومنه:

وقد أخذ اللَّه الميثاق مني ومن نبيه لينصرن كل منا صاحبه، فأما أنا فقد نصرت النبي صلى اللَّه عليه وآله بالجهاد معه وقتلت أعداءه، وأما نصرته لي وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد؛ لأنهم ماتوا قبل إمامتي وبعد هذا سينصرونني في زمان رجعتي، ويكون لي ملك ما بين المشرق والمغرب ويخرج اللَّه لنصرتي الأنبياء من آدم إلى محمد يجاهدون معي، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء، والكفار الأموات، الذين يحييهم اللَّه تعالى، وأعجب وكيف لا أعجب من أموات يحييهم اللَّه تعالى يرفعون أصواتهم بالتلبية فوجًا فوجًا لبيك يا داعي اللَّه، ويتخللون أسواق الكوفة وطرقها؛ حتى يقتلون الكافرين والجبارين والظالمين من الأولين والآخرين؛ حتى يحصل لنا ما وعدنا اللَّه تعالى»[١].

ولا هذا فحسب، بل عمموا الرجعة حيث قالوا:

«ليس أحد من المؤمنين قتل إلا سيرجع؛ حتى يموت ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع؛ حتى يقتل»[٢].

وروى الطبرسي والمفيد:

إذا آن قيام القائم مطر الناس في جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطرًا لم ير الناس مثله، فينبت اللَّه به لحوم المؤمنين في أبدانهم في قبورهم، فكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون رءوسهم من التراب»[٣].

(١) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٩٩).

(٢) «بحار الأنوار» للمجلسي (١٣/ ٢١٠).

(٣) «أعلام الورى» ص(٤٦٢)، «الإرشاد» للمفيد ص(٣٦٣)، «بحار الأنوار» (١٣/ ٢٢٣).

وروى المفيد أيضًا:

«يخرج إلى القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون»[١].

دابّة الأرض

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن دابة الأرض التي تخرج قبل قيام الساعة تكلمهم يكون عليًّا ﷺ كما رووا عن جعفر أنه قال:

«أتى رسول اللَّه ﷺ إلى أمير المؤمنين ﷺ وهو نائم في المسجد، وقد جمع رملاً ووضع رأسه عليه، فحركه برجله، ثم قال: قم يا دابة اللَّه. فقال رجل من أصحابه: يا رسول اللَّه أيسمي بعضنا بعضًا بهذا الاسم؟ فقال: لا واللَّه ما هو إلا له خاصة، وهو الدابة التي ذكر اللَّه في كتابه: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**﴾، ثم قال: يا علي، إذا كان آخر الزمان أخرجك اللَّه في أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك»[٢].

ثم إن عليًّا ليست له رجعة واحدة، بل له رجعات كثيرة كما ذكروا أنه قال في إحدى خطباته:

«إن لي رجعة بعد رجعة، وحياة بعد حياة، أنا صاحب الرجعات وصاحب الصولات»[٣].

هذا ومثل هذا فإنه لكثير.

---

(١) «الإرشاد» للمفيد ص(٣٦٥)، «أعلام الورى» للطبرسي ص(٤٦٤).

(٢) «بحار الأنوار» للمجلسي (١٣/ ٢١٣).

(٣) «الأنوار النعمانية» للجزائري (٢/ ٩٩).

ومن غرائب الاعتقادات التي يعتقدها القوم أنهم يقولون: إن بعد قائمهم اثنى عشر مهديًّا أخر، كما رووا عن جعفر، عن أبائه، عن علي أنه قال:

«قال رسول اللَّه ﷺ في الليلة التي كانت فيها وفاته: يا أبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة، فأملى رسول اللَّه ﷺ وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع. فقال: يا علي، إنه سيكون بعدي اثنا عشر إمامًا ومن بعدهم اثنا عشر مهديًا. فأنت أول الاثنى عشر إمامًا... وساق الحديث، إلى أن قال: وليسلمها الحسن (يعني: الإمام العسكري عليه السلام) إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد صلى اللَّه عليه وعليهم، فذلك اثنا عشر إمامًا، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديًا. فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المهديين. له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي واسم أبي، وهو عبد اللَّه، وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، وهو أول المؤمنين»[1].

وروى الطوسي: أنهم أحد عشر، كما حكى عن أبي حمزة، عن أبي جعفر أنه قال له:

«يا أبا حمزة إن منا بعد القائم أحد عشر مهديًا»[2].

وإلى ذلك يشير رواية النعماني حيث يحكي عن أبي جعفر أنه قال:

واللَّه ليملكن رجل منا أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ويزداد تسعًا، قال: فقلت له: ومتى يكون ذلك؟ قال: بعد موت القائم عليه السلام، قلت له: وكم يقوم القائم عليه السلام في عالمه حتى يموت؟ فقال: تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى يوم موته»[3].

---

(١) «بحار الأنوار» (١٣/ ٢٣٧).

(٢) «كتاب الغيبة» للطوسي ص(٢٨٥).

(٣) «كتاب الغيبة» للنعماني ص(٣٣٢).

ويؤيد ذلك أيضًا دعاء شيعي يدعونه للمهدي، فيقولون في آخره:

«اللَّهم صل على ولاة عهده والأئمة من بعده، وبلغهم آمالهم وزد في آجالهم، وأعز نصرهم وتمم لهم ما أسندت إليهم من أمرك لهم، وثبت دعاتهم، واجعلنا لهم أعوانًا وعلى دينك أنصارًا»[1] .

وأخيرًا نأتي برواية أوردها محدث القوم نعمت اللَّه الجزائري عن جعفر أنه قال:

«إن الشيطان لما قال: رب أنظرني إلى يوم يبعثون، قال: إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فيخرج الشيطان مع جميع عساكره وتوابعه من يوم خلق آدم إلى يوم الوقت المعلوم، وهو آخر رجعة يرجعها أمير المؤمنين عليه السلام، فقال الراوي: كم لأمير المؤمنين عليه السلام من رجعة؟ فقال: إن له رجعات ورجعات، وما من إمام في عصر من الأعصار إلا رجع معه المؤمنون في زمانه والكافرون فيه؛ حتى يستولي أولئك المؤمنون على أولئك الكافرين فينتقمون منهم، فإذا جاء الوقت المعلوم ظهر أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحابه، وظهر الشيطان مع أصحابه، فيتلاقى العسكران على شط الفرات في مكان اسمه الروحا قريب الكوفة، فيقع بينهم حرب لم يقع في الدنيا من أولها وآخرها، وكأني أرى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا منهزمين حتى تقع أرجلهم في الفرات فعند ذلك يرسل اللَّه سحابة مملوّة من الملائكة يتقدمها النبي صلى اللَّه عليه وآله وبيده حربة من نور، فإذا نظر الشيطان أدبر فارًا، فيقول له أصحابه: إلى أين تفر ولك الظفر عليهم؟ فيقول: إني أرى ما لا ترون إني أخاف من عقاب رب العالمين؛

(١) «مفاتيح الجنان» ص(٥٤٢).

فيصل النبي صلى اللَّه عليه وآله ويضربه ضربة بالحربة بين كتفيه فيهلك بتلك الضربة هو مع جميع عساكره، فعند ذلك يعبد اللَّه على الإخلاص ويرتفع الكفر والشرك، ويملك أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا أربعين ألف سنة ويولد لكل واحد من شيعته ألف ولد من صلبه في كل سنة ولد، وعند ذلك يظهر البستانان عند مسجد الكوفة الذي قال اللَّه تعالى: مدهامّتان، وفيهما من الاتساع ما لا يعلمه إلا اللَّه تعالى»[1] .

وهذا آخر ما أردنا ذكره من خرافات القوم ومعتقداتهم انتخبناها من الكثير الكثير، ولهم كتب مستقلة في هذا الباب»[2] .

ادّعاء الكيسانية حياة محمد بن الحنفية وغيبته

كان كُثير الشاعر على مذهب الكيْسانية الذين ادعوا حياة محمد بن الحنفية، ولم يصدقوا بموته؛ ولذا قال في قصيدة له:

ألاَ إنَّ الأئمةَ من قريشٍ ... وُلاةَ الحق أربعةٌ سواءُ
عليٌّ والثلاثةُ من بنيه ... همُ الأسباطُ ليسَ بهِمْ خَفَاءُ
فَسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبرٍّ ... وَسِبْطٌ غيَّبته كربلاءُ
وسِبْطٌ لا يذوقُ الموتَ حتى ... يقودُ الخيلَ يَقْدِمُها اللِّواءُ
تَغيَّب لا يُرى فيهم زمانًا ... بَرضْوَى عنده عَسَلٌ وَمَاءُ[3]

---

(١) «الأنوار النعمانية» للجزائري (٢/ ١٠١، ١٠٢).

(٢) «الشيعة والتشيع» لإحسان إلهي ظهير ص(٣٨٣ ـ ٣٩٠)ـ إدارة ترجمان السنة.

(٣) «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي ص(٤١) ـ دار المعرفة.

سبط إيمان: هو الحسن، وسبط لا يذوق الموت: هو محمد بن الحنفية، وهذا خطأ فإن محمدًا ليس سبطًا فليست أمه فاطمة ﵂.

وقال كثيّر أيضًا:

أَلاَ قلْ للوصيٍّ فَدَتْكَ نفسي ... أَطَلْتَ بذلك الجبلِ المُقَامَا
أَضرَّ بمعشرٍ وَالَوْكَ منّا ... وسَمَّوْك الخليفة وَالإماما
وعَادَوْا فيك أهلَ الأرضِ طُرًّا ... مُقامُك عندهم ستين عامًا
وما ذاقَ ابنُ خولةَ طعم مَوْتٍ ... ولا وارتْ له أرضٌ عِظاما
لقد أمسى بمجرى شِعْبِ رَضْوى ... تُراجِعُه الملائكة الكلاما
وإنّ له لرزقًا كلَّ يومٍ ... وأشربةً يُعلُّ بها الطَّعَاما

وردّ عليه عبد القاهر البغدادي:

لَقَدْ أَفْنَيْتَ عَمركَ بانتظارٍ ... لِمَنْ وارى التراب لَهُ عِظَامَا
فَلَيْسَ بِشِعْبِ رَضْوَاءَ إمامٌ ... تُراجعهُ الملائكةُ الكلاما
ولا مَنْ عنده عَسلٌ وماءٌ ... وأَشْرِبةٌ يعلُّ بها الطعاما
وقد ذاق ابن خَوْلَةَ طعم مَوْتٍ ... كما قد ذاق والِدُهُ الحِمَامَا
ولو خَلَدَ امرؤٌ لعُلُوٍّ مجدٍ ... لعاش المصطفى أبدًا ودامَا

وكان الشاعر المعروف بالسيد الحميري أيضًا على مذهب الكيسانية الذين ينتظرون محمد بن الحنفية ويزعمون أنه بجبل رضوى، إلى أن يُؤذن له بالخروج.

***

* المحمدية من الشيعة المغيرية يقولون بغيبة إمامهم ورجوعه:

● قال عبد القاهر البغدادي: «هؤلاء ينتظرون محمد بن عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولا يصدّقون بقتله ولا بموته، ويزعمون أنه في جبل حاجر من ناحية نجد إلى أن يؤمر بالخروج، وكان المغيرة بن سعيد العجلي مع ضلالاته في التشبيه يقول لأصحابه: إن المهدي المنتظر محمد بن عبد اللَّه بن الحسن»[١] .

ولقد أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى في جيش كثيف، وقاتلوا محمدًا بالمدينة، وقتلوه، ومع هذا تعتقد هذه الفرقة بأنه لم يمت وله رجعة.

● الناووسية:

«وهم أتباع رجل من أهل البصرة كان ينتسب إلى ناووس[٢] بها، وهم يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق بنص الباقر عليه، وزعموا أنه لم يمت وأنه المهدي المنتظر»[٣] .

* الإسماعيلية:

«افترق هؤلاء فرقتين: فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه»[٤] .

---

(١) «الفرق بين الفرق» ص(٥٦ ـ ٥٧).
(٢) قال الأشعري: «وهذه الفرقة تسمى الناووسية لُقِّبوا برئيس لهم يقال له: عجلان بن ناووس من أهل البصرة.
(٣) «الفرق بين الفرق» ص(٦١).
(٤) المصدر السابق ص(٦٢ ـ ٦٣).

* **الموسوية من الشيعة:**

«هؤلاء الذين ساقوا الإمامة إلى جعفر، ثم زعموا أن الإمام بعد جعفر كان ابنه موسى بن جعفر، وزعموا أن موسى بن جعفر حي لم يمت، وأنه هو المهدي المنتظر، وقالوا: إنه دخل دار الرشيد ولم يخرج منها، وقد علمنا إمامته وشككنا في موته، فلا نحكم في موته إلا بيقين»[1].

ويرحم اللَّه عبد القاهر البغدادي لـمّا قال في الشيعة ـ في كتابه «الفرق بين الفرق» ص(٧١ ـ ٧٢):

يا أيها الرافضة المبطلَهْ دَعْواكم من أصلها مبطَلَة
إمامكم إن غاب في ظلمةٍ فاستدركوا الغائب بالمشعَلَةْ
أو كان معموراً بأعماركم فاستخرجوا المعمور بالغربلة

● **بطلان عقيدة الرجعة:**

أما بطلان عقيدة الرجعة فيظهر بداهة لكل من تبصر في علوم الشريعة الإسلامية؛ لأن الأدلة القطعية دالة على ذلك كتابًا وسنة وإجماعًا ممن يعتد بإجماعه، ومخالفة المبتدعة وجودها كعدمها عند العارفين من أهل السنة والجماعة.

وبادئ ذي بدء نشير إلى أن أكبر ما يستدل به القائلون بالرجعة من الشيعة والصوفية إنما هي آيات القدرة. فيقول العاملي الشيعي مثلاً عن قوله تعالى: ﴿**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾ [القيامة: ٤٠]: «وهي دالة على إمكان الرجعة فإنها من قسم إحياءِ الموتى لا تزيد على ذلك، ولا شك

---

(١) «الفرق بين الفرق» ص(٦٣). وسمى الأشعري هذه الفرقة «بموسائية» وليس بقياس.

في تساوي نسبة قدرة اللّه إلى جميع الممكنات»[١] .

ونقل السيوطي عن أبي محمد بن أبي جمرة أنه رد على من استبعد رجوع النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم إلى الدنيا ورؤية بعض الناس إياه وذكره وجهين من المحذور في عدم التصديق بوقوع رؤيته صلى اللّه عليه وآله وسلم بعد موته، فقال في الوجه الثاني: «الجهل بقدرة القادر وتعجيزها كأنه لم يسمع في سورة البقرة قصة البقرة، وكيف قال اللّه تعالى: ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ** ﴾ [البقرة: ٧٣]، وقصة إبراهيم عليه السلام في الأربع من الطير وقصة عزير. . . »[٢] .

وللرد على هذا نقول: ليس الخلاف حول شمولية القدرة الإلهية ولا حول إمكان الرجعة بالنسبة للقدرة الشاملة، بل النزاع حول وقوعها بحيث إن أشخاصًا معينين يموتون، ثم يرجعون إلى الدنيا، وكذلك حول وجوب اعتقاده كما يقول منظروا الشيعة والصوفية، يقول ابن الخياط المعتزلي ـ في رده على ابن الراوندي الرافضي حين زعم أن العقل دال على إمكان وقوع الرجعة ـ: «وعلمنا أنه ليس بمستحيل أن يحول اللّه أبا قبيس ذهبًا، وأن ذلك لو حصل لم ينقص توحيداً ولم يبطل عدلاً وليس لنا ـ وإن كان كذلك ـ أن نصف اللّه بأنه يفعله. . . فكذلك القول بالرجعة ليس لنا أن نقول بها، وإن كانت غير مستحيلة في القدرة، إذ كان لم يأت بها بل قد أتى بإبطالها ونفيها»[٣] .

---

(١) «الإيقاظ» ص(٧٧).

(٢) «تنوير الحلك» (٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) ضمن «الحاوي».

(٣) «الانتصار والرد» ص(٩٦).

وقال الآلوسي: «وكون الإحياء بعد الإماتة والإرجاع إلى الدنيا من الأمور المقدورة له عز وجل مما لا ينتطح فيه كبشان إلا أن الكلام في وقوعه، وأهل السنة ومن وافقهم لا يقولون به»[1].

أما القرآن الكريم فقد وردت فيه آيات كثيرة تأبى القول بالرجعة ومنها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]، قال ابن القيم: «وسبب سؤال الرجعة هو أن يستقبل العمل الصالح فيما ترك خلفه من ماله وجاهه وسلطانه وقوته، فيقال له: كلا، لا سبيل لك إلى الرجعة، وقد عمرت ما يتذكر فيه من تذكر...»[2].

ومن هذا يتبين أن هؤلاء القوم سألوا الرجعة لمهمة نبيلة وهي الانتهاء عن السيئات والإقبال على العمل الصالح. ومع هذا فقد رد طلبهم بما رأيت، فكيف يسمح للبدوي بالرجعة لكي يأمر الشعراني بوطء زوجته فوق القبة؟!!

٢ ـ قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ١٢]، فكان الجواب قوله تعالى: ﴿**فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٤].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا**

---

(١) «روح المعاني» (٢٠/٢٧).

(٢) «عدة الصابرين» ص(١٨٤ ـ ١٨٥).

الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]. ومن خلال هذه الآيات نجد أن هؤلاء سألوا الرجعة إلى الدنيا عند الموت، وعند القيامة، وعند رؤية العذاب، وعند دخولهم فيه، فلم يبق موطن من مواطن الآخرة إلى سألوا اللَّه الرجعة فيها لفرط ندمهم على ضياع حياتهم في الكفر والمعاصي، ولكن اللَّه تعالى يرد عليهم ردًا عنيفًا في كل مرة: كلاً لا رجعة، فقد تقدمت الأعمال وحان وقت الجزاء[1].

وفي السنة المطهرة ما يؤيد معنى هذه الآيات، ويوضح صراحة أنه لا رجعة إلى الدنيا بعد الموت: فعن طلحة بن خراش قال: سمعت جابرًا يقول: لقيني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم فقال لي: **«يا جابر ما لي أراك منكسرًا؟»** فقلت: يا رسول اللَّه استشهد أبي قتل يوم أحد، وترك عيالاً ودينًا. قال: **«أفلا أبشرك بما لقي اللَّه به أباك؟»**، قال: قلت: بلى يا رسول اللَّه. قال: **«ما كلم اللَّه أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك وكلمه كفاحًا[2] »، فقال: يا عبدي تمن علي أعطك. قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب عز وجل: إنه سبق مني: أنهم إليها لا يرجعون»** رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، وابن أبي عاصم، والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

---

(١) انظر: «عقيدة الرجعة عند الشيعة» ص(٢٥٤).

(٢) أي: مواجهة بغير حجاب. «جامع الأصول» (٩/ ٨٧)، و«القاموس» مادة (ك ف ح).

ووافقه الذهبي. وحسنه أيضًا الألباني(١).

وهو حديث صريح في منع القول بوقوع الرجعة فضلاً عن أن تكون عقيدة إسلامية يجب اعتقادها. والحق واضح بيِّن بهذه النصوص لمن كان الحق والهدى مبتغاه وضالته المنشودة(٢).

* إدعاؤهم رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته:

يرى جماهير الصوفية القدامى، وكافة المتأخرين منهم أن مقابلة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بعد موته أمر ممكن وواقع، بل يصرح بعضهم بأنه عليه الصلاة والسلام لم يمت، فيقول أبو العباس القصاب: «لم يمت محمد، وإنما الذي مات هو استعدادك لأن تراه بعين قلبك»(٣).

● ويقول محمد بن عبد الكريم السمان قوله: «وأوصيك بدوام ملاحظة صورته ومعناه، ولو كنت في أول الأمر متكلفًا في الاستحضار فعن قريب تألف روحك فيحضرك صلى اللَّه عليه وآله وسلم عيانًا، وتحدثه وتخاطبه فيجيبك ويحدثك، ويخاطبك فتفوز بدرجة الصحابة وتلحق بهم»(٤).

● ونظيره قول الدباغ: «لكل شيء علامة، وعلامة إدراك العبد مشاهدة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في اليقظة أن يشتغل الفكر بهذا النبي الشريف اشتغالاً دائمًا بحيث لا يغيب عن الفكر ولا تصرفه عنه الصوارف ولا الشواغل، فتراه يأكل وفكره مع النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ويشرب

---

(١) «سنن الترمذي» كتاب التفسير، و«سنن ابن ماجه»، و«السنة» لابن أبي عاصم، و«المستدرك» (٣/ ٢٠٤)، و«ظلال الجنة» في التعليق على الحديث (٦٠٢).

(٢) «تقديس الأشخاص عند الصوفية» (٢/ ٣٧ ـ ٣٩).

(٣) «تذكرة الأولياء» (٢/ ١٨٥).

(٤) «الرماح» (١/ ٢٢٦).

وهو كذلك، ويخاصم وهو كذلك وينام وهو كذلك، فإذا دام العبد على هذا مدة رزقه اللَّه تعالى مشاهدة نبيه الكريم ورسوله العظيم في اليقظة. ومدة الفكر تختلف فمنهم من تكون له شهرًا، ومنهم من تكون له أقل، ومنهم من تكون له أكثر»[1].

● ويحكي الشعراني في ترجمة الشيخ عبد اللَّه بن أبي جمرة الأندلسي[2] أنه: «ابتلي بالإنكار عليه حين قال: إنه يرى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقظة ويشافهه، وقام عليه بعض الناس فانقطع في بيته إلى أن مات»[3].

● وفي ترجمة الشيخ إبراهيم المتبولي يقول الشعراني: «وكان يرى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم كثيرًا في المنام فيخبر بذلك أمه فتقول: يا ولدي إنما الرجل من يجتمع به في اليقظة، فلما صار يجتمع به في اليقظة ويشاوره على أموره، قالت له: الآن شرعت في مقام الرجولية»[4].

وعنه يقول أيضًا: «سمعت الشيخ عبد القادر الدشطوطي، يقول: **«ليس أحد من الأولياء له سماط يمد كل سنة فوق سد الإسكندر ذي القرنين غير سيدي إبراهيم المتبولي، ولا يتخلف أحد من الأنبياء والأولياء عن حضوره، فيجلس النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم صدر السماط والأنبياء يمينًا وشمالاً علي تفاوت درجاتهم وكذلك الأولياء، ونقباء ذلك السماط المقداد بن الأسود**

---

(١) «الإبريز» ص(٢٩٤).
(٢) تتلمذ عليه ابن الحاج صاحب «المدخل».
(٣) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٧٢).
(٤) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٧٥).

رضي الله عنه وأبو هريرة رضي الله عنه وجماعة»[١] .

● وفي ترجمة الشيخ محمد الصوفي ـ أحد مشايخه ـ قال الشعراني :

«وكان يخبر أنه يجتمع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة أي وقت أراد»، ثم علق عليه الشعراني بقول: «وهو صادق؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم سائر في كل مكان وجدت فيه شريعته، وما منع الناس من رؤيته إلا غلظ حجابهم»[٢] .

ويؤكد ابن المبارك أن شيخه الدباغ كان يرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليقظة: «وكنت أنظر في «شمائل الإمام الترمذي» ـ رحمه الله ـ وفي شروحها، فإذا اختلفوا في شيء من لونه صلى الله عليه وآله وسلم أو طول ذاته أو طول شعره أو مشيته أو غير ذلك فيجيبني جواب المعاين المشاهد»[٣] . وهو أمر أكده الدباغ نفسه، فقال: «لما أراد الله أن يفتح علي وأن يجمعني برحمته نظرت وأنا بفاس إلى القبر الشريف، ثم نظرت النور الشريف فجعل يدنو مني وأنا أنظر إليه فلما قرب مني خرج منه رجل، وإذا هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم»[٤] .

وذهب الشعراني ـ كما ينقل عنه الفوتي ـ إلى أن الوسيلة إلى رؤيته هي كثرة الصلاة عليه، فقال: «فلا يزال أحدهم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويكثر منها ويتطهر من كل الذنوب؛ حتى يجتمع به يقظة في أي وقت شاء، ومن لم يحصل له هذا الاجتماع فهو إلى الآن لم يكثر

(١) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٧٧).
(٢) «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٦٠).
(٣) «الإبريز» ص(٢٩٥).
(٤) «الإبريز» ص(٣٠٨).

من الصلاة على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم الإكثار المطلوب».

ويقول: «لا يكمل الرجل عندنا في مقام العرفان؛ حتى يصير يجتمع برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقظة ومشافهة»، ثم قال: وممن رآه يقظة من السلف الشيخ أبو مدين المغربي، والشيخ عبد الرحيم القناوي[١]، والشيخ موسى الزواوي، والشيخ أبو الحسن الشاذلي، والشيخ أبو العباس المرسي، والشيخ أبو السعود بن أبي العشائر[٢]، وسيدي إبراهيم المتبولي، والشيخ جلال الدين السيوطي، وكان يقول: رأيت النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم واجتمعت به يقظة نيفًا وسبعين مرة. وأما سيدي إبراهيم المتبولي فلا يحصي اجتماعه به...»[٣].

● وذكر الصيادي أن إبراهيم المتبولي كان يرى النبي ﷺ، ويتلقى أوامره المحمدية، وأن أبا العباس المرسي كان يراه ﷺ، ويرى الانحجاب عن رؤيته نقصًا في مقام ولايته، وأن الشاذلي لم يكن طيلة حياته يفارق النبي ﷺ، حيث يقسم على ذلك قائلاً: «واللَّه، لو غاب عني رسول اللَّه ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين»[٤].

وذكر الصيادي أيضًا أن أحد أعيان الطريقة (الشيخ جلال الدين

---

(١) هو الشيخ عبد الرحيم بن أحمد القناوي، صوفي، مصري، مقدس عند الصوفية. كان يدعي مخاطبة جبريل عليه السلام، ويتواضع للكلاب. مات في قنا بصعيد مصر سنة (٥٦٢هـ). انظر: ط. ك (١/ ٢٢١) ط. دار الفكر، و«جامع كرامات الأولياء» (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٤٥).

(٣) «الرماح» (١/ ١٩٩).

(٤) «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٢٦٠)، و«طبقات الشعراني» (٢/ ١٤)، و«قلادة الجواهر» (١٠٦، ١٩٢).

السيوطي) كان يجتمع بالنبي ﷺ يقظة لا في المنام، قيل له: كم مرة رأيته يقظة؟ قال: بضعًا وسبعين مرة، فأيهما أعظم: من يستلم يد النبي ﷺ مرة واحدة أم من يجلس بجانبه يقظة ويحادثه أكثر من سبعين مرة[١] ؟!.

وقد ألَّف السيوطي رسالة «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والـمَلَكَ»، ولم يرو في موضوعها حديثًا صحيحًا ولا ضعيفًا، لا مرفوعًا ولا موقوفًا ولا مرسلاً، ولا غير ذلك مع سعة حفظه، وطول باعه في الحديث، وشدّة انتصاره لذلك، وهذا يُؤيس من أن يكون في رؤيته ﷺ بعد موته يقظة حديث؛ لأنّ السيوطي له من الاطلاع والحفظ ما لو كان في رؤيته ﷺ حديث لأورده مستدلاً به لما هو الظاهر عنده المنتصر له، ولو وقعت لأحدٍ من الصحابة والتابعين أو تابعيهم لذكره!

واعتمد فيها على معنى رآه لحديث صحيح، وهو: **«من رآني في المنام، فسيراني في اليقظة»**، فحمل السيوطي هذا الحديث على أنّ من رأى رسول اللّه ﷺ في المنام، فسيراه في اليقظة في الدنيا حقيقة ولو مرة واحدة، تحقيقًا لوعده الشريف الذي لا يخلف!! واعترض على من قال: إنه سيراه في الآخرة؛ لأنه في الآخرة يراه الجميع ـ من رآه في المنام، ومن لم يره ـ فلا يبقى لخصوص رؤيته في المنام مزية!! ثم استأنس بعد ذلك بقصص كثيرة وقعت لبعضهم.

● يقول الشيخ حمود التويجري عن جماعة التبليغ: **«يقول قائلهم إن لجماعتنا ولأكابرنا حظ وصول في مجالس النبي ﷺ يقظة لا منامًا»**[٢].

---

(١) «قلادة الجواهر» (٤٢٢ ـ ٤٢٣)، وفي ثبوت العبارة السابقة عن السيوطي نظر.

(٢) «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للشيخ حمود التويجري ص(١٢ ـ ١٣) دار الصميعي.

● ويقول الشيخ تقي الدين الهلالي في كتابه «السراج المنير» في كلامه عن الشيخ محمد إلياس الديوبندي مؤسس جماعة التبليغ ومدرسة ديوبند أكبر مدرسة للحنفية في البلاد الهندية:

«وبناء على قول أصحاب ديوبند أسسها النبي ﷺ في حضور الشيخ محمد قاسم الناتتوي الحنفي الجشتي وكان النبي ﷺ يأتي إلى هذه الدار أحيانًا مع أصحابه وخلفائه لتدقيق حساب المدرسة»(١) !.

● «وسُئل الحبشي الصوفي عن رجل رأى رسول اللَّه ﷺ في المنام ما حكم ذلك؟

فقال: بشراه بأن لا بد أن يرى النبي حقيقة عند الموت»(٢).

وقد أنكر ابن الجوزي على أبي الفتح الطوسي الذي ادعى أنه كلما أشكل عليه شيء رأى رسول اللَّه ﷺ في اليقظة وعد هذا من منكراته(٣).

ووصف ابن الجوزي أحمد الغزالي (أخا أبي حامد) أنه كان آية من آيات اللَّه في الكذب حيث كان يزعم أنه يرى رسول اللَّه ﷺ في اليقظة لا في النوم، وأنه كلما أشكل عليه أمر رأى رسول اللَّه ﷺ في اليقظة لا في المنام(٤).

● بل زعم الرفاعية أن الشيخ أحمد الأزرق ابن الشيخ منصور كان

---

(١) «توحيد خالص» للدكتور عثمان ص(١٠٤) نقلاً عن كتاب «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم» للشيخ تقي الدين الهلالي ص(١٥ ـ ١٦) ـ دار خباب بن الأرت.
(٢) شريط (٣) ٧٤٤ وجه (٢) وقال به تلميذه سليم عوان شريط (٣) عداد (٢٥٣).
(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ١٩٦).
(٤) «كتاب القصاص، والمذكرين» لابن الجوزي ص(١٥٦).

يصافح النبي ﷺ خمس مرات[١].

● واشتط بعضهم؛ حتى زعم أنه لا يفارق النبي ﷺ لحظة واحدة كما حكي عن أبي العباس المرسي أن قال: «والله لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين»[٢].

ويذكر السيوطي أنه كانت لأبي العباس المرسي وصلة بالنبي دائمة. إذا سلم على النبي رد النبي السلام عليه ويجاوبه إذا تحدث معه[٣].

● وقد يستفتونه ﷺ فيفتيهم بما ثبت عنه خلافه في الروايات الصحيحة. فقد زعم النابلسي أنه رأى النبي ﷺ فسأله عن المطلقة بالثلاث في المجلس الواحد كيف حكمه عندك يا رسول الله؟ فقال: «تقع ثلاثًا»[٤]! مع أن الذي صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يحتسبها واحدة[٥].

فمن نصدق: أنصدق ابن عباس أم نصدق صاحب تفسير الأحلام النابلسي المعجب بابن الفارض الشارح لتائيته وكذلك ابن عربي المصرح بعقيدة وحدة الوجود؟!

ويقول الشعراني أيضًا: «وكان ورد الشيخ أحمد الزواوي[١] أربعين ألف صلاة، وقال لي مرة: طريقنا أن نكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ حتى يصير يجالسنا يقظة، ونصحبه مثل الصحابة، ونسأله

---

(١) «سواد العينين في مناقب أبي العلمين» ص(٥٣) هذبه جمال صقر الحبشي.

(٢) «طبقات الشعراني» (٢/ ١٤)، و«قلادة الجواهر» للصيادي الرفاعي ص(٢٨١).

(٣) «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٢٦٠).

(٤) «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» ص(٢٣٦).

(٥) رواه مسلم (١٤٧٢)، وأبو داود (٢١٩٩).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٦٢).

عن أمور ديننا وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا، ونعمل بقوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم»[١] .

وتحدث الفوتي عن شيخة التجاني، فقال: «إن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أخبره بقولـه عليه الصلاة والسلام: بعزة ربي يوم الاثـنين ويوم الجمعة لم أفارقـك فيهما من الـفجر إلى الغـروب ومعي سبعة أمـلاك وكل رآك في اليومين تكتب الملائكة اسمه في ورقة من ذهب، ويكتبونه من أهل الجنة»[٢] ، وينقل ابن ضـيف اللَّه أن: «الشيخ خوجلـي يرى النبي صلى اللَّـه عليه وآله وسلم كل يوم أربعة[٣] وعشرين مرة يقظة»[٤] .

معنى هذا أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بينما يرافق الشيخ التجاني ـ وهو بفاس ـ يوم الاثنين ويـوم الجمعة ولا يفارقه فيهما، نجده يـقابل الشيخ خوجلي بالســودان كل يوم أربعًا وعشرين مرة، أي: مرة فـي كل ساعة ليلاً ونهارًا.

● بل ويعتقدون أنه ﷺ يحضر بعض اجتماعات الصوفية:

وأول نص صوفي يلـفت النظر في هذا الصـعيد هو اعتقاد الصـوفية أنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يحضر بعض الموالد الصوفية، فينقل الشعراني عن الشيخ محـمد الشناوي، أن شيخه مـحمد السروري تخلف سـنة عن حضور مولد البدوي، فـعاتبه الشيخ البـدوي، وقال: «موضع يحضر فيـه سول اللَّه

(١) «الرماح» (١/ ١٩٩).

(٢) «الرماح» (٢/ ٢٩).

(٣) هكذا.

(٤) «طبقات ابن ضيف اللَّه» ص(١٩١).

صلى اللَّه عليه وآله وسلم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معه وأصحابهم والأولياء، وما يحضره؟ فخرج الشيخ محمد إلى المولد فوجد الناس راجعين وفاته الاجتماع فكان يلمس ثيابهم ويمر بها على وجهه»[١] .

● ومن ذلك اعتقاد التيجانية أن النبي ﷺ والخلفاء الأربعة يحضرون بعض جلسات أذكارهم اليومية، ففي «جواهر المعاني»: «ولا تقرأ جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية لا بالترابية؛ لأن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم يحضر عند قراءتها»[٢] .

وقال الشيخ الفوتي في الفضيلة الرابعة والثلاثين من فضائل الطائفة التجانية:

«إن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم والخلفاء الأربعة يحضرون مع أهل هذه الطريقة كل يوم، قال ـ يعني شيخه ـ إن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: من قرأها سبعًا فأكثر يحضره النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها»[٣] .

وعقد أيضًا فصلاً في كتابه عنوانه: «الفصل الحادي والثلاثون في إعلامهم أن الأولياء يرون النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقظة، وأنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسمه وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء»[٤] .

---

(١) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٥٨).
(٢) «جواهر المعاني» (١/ ١٢٤).
(٣) «الرماح» (٢/ ٤٨).
(٤) «الرماح» (١/ ١٩٨ ـ ١٩٩).

ويقول صاحب كتاب «الختمية» السوداني ـ عند ما علل لقيامهم جماعة عند ذكر الولادة أثناء احتفالهم بترديد الأناشيد المولدية ـ: «أما القيام في حالة ذكر الولادة فإن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم بشر الختم في منامه بأنه يحضر حين ذكر الولادة، وبما أن الشيطان لا يتمثل بالرسول صلى اللَّه عليه وآله وسلم فقد وجب التصديق بحضوره صلى اللَّه عليه وآله وسلم، ولذلك وجب القيام لحضوره إكرامًا له صلى اللَّه عليه وآله وسلم»(١) . مع أن هذا الرجل لم يقر صراحة بأنهم يرون الرسول صلى اللَّه عليه وآله وسلم أثناء هذه المواليد إلا أنه اعترف بعقيدتهم في أنه يحضرها.

والقول برؤيته لازم لهم إذا كانوا يعتقدون أن حضوره يكون بالجسد والروح.

● بل ويعتقدون أنه عليه الصلاة والسلام ما زال يعطي بعض المعارف والتشريعات لمن شاء من العباد.

يقول ابن المبارك عن مسألة الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، والتي يصفها بأنها أتعبت العلماء وأفردوها بالتأليف وبحثوها من خلال مصنفاتهم، أمثال ابن الجوزي، والباقلاني، وابن حجر، والسيوطي، يقول: «ومع وقوفي على كلام هؤلاء الأربعة الفحول ومعرفتي بظاهره وباطنه وبأوله وآخره لم يحصل عندي ظن بمراده ﷺ فقلت للشيخ ـ يعني: الدباغ ـ: لا أسألك إلا عن مراد النبي ﷺ فقال: غدًا نجيبك إن شاء اللَّه. فلما كان من الغد قال لي ـ وقد صدق فيما قال ـ: «سألت النبي ﷺ عن مراده بهذه الحديث فأجابني عن مراده ﷺ . فتكلمت مع الشيخ في ذلك ثلاثة أيام وهو يبين

(١) ص(١٣٥).

لي معنى المراد، وسمعت فيه من الأسرار ما لا يكتب ولا يطاق»[١]، ثم لخص ما يرى من ذلك أنه يمكن أن يكتب، فذكر كلامًا كثيرًا كله غوامض وطلاسم.

وكذلك نجد في المصادر الصوفية: «عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثًا، فقال له الولي: هذا باطل. فقال الفقيه: من أين لك هذا؟ فقال: هذا النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم واقف على رأسك يقول: إني لم أقل هذا الحديث»[٢].

● وذكر علي حرازم برادة أن شيخًا اسمه محمد بن العربي التازي (ت١٢١٤هـ) حفظ أبياتًا من النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في المنام، ثم لقيه في اليقظة فطلب منه شرح الأبيات فشرحها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم، ثم قال له: «لولا محبتك في التجاني ما رأيتني قط»[٣].

ويخبر صاحب «جواهر المعاني» أيضًا:

أ ـ «أن الورد المعروف بحزب البحر أملاه النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم على الشيخ أبي الحسن الشاذلي»[٤].

ب ـ كما يخبر «أن الشيخ التجاني لقي النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في اليقظة فسأله عن نسبه، وهل هو من أبنائه وآله؟ فأجابه النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم: أنت ولدي حقًّا ثلاث مرات، وقال له: ونسبك إلى الحسن

---

(١) «الإبريز» ص(٣٥ ـ ٤٠).
(٢) «تنوير الحلك» للسيوطي (٢/ ٢٦٠)، ونقله عنه الفوتي في «الرماح» (١/ ٢٠٨).
(٣) «جواهر المعاني» (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤)، وانظر: الأبيات وشرحها من (١٥٤ ـ ١٥٨).
(٤) (١/ ١٤٩).

ابن علي صحيح»[١] .

جـ ـ «وأن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أذن للشيخ التجاني يقظة لا منامًا بتربية الخلق على العموم والإطلاق، وعين له الورد الذي يلقنه في سنة (١١٩٦هـ)»[٢] .

د ـ «وأن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم هو الذي أمر بتأليف كتاب جواهر المعاني»[٣] .

وقال الشيخ صفي الدين: «رأيت الشيخ الجليل الكبير أبا عبد اللّه القرطبي أجل أصحاب الشيخ القرشي، وكان أكثر إقامته بالمدينة النبوية، وكان له بالنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وصلة وأجوبة ورد للسلام، حمله رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم رسالة للملك الكامل وتوجه إلى مصر وأداها وعاد إلى المدينة»[٤] .

● دعوى استمرار التشريع بعد موت النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ومعنى ذلك أنه عليه الصلاة والسلام مات قبل كمال الدين، وهو باطل.

● اتهام النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم بتأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وهو غير جائز في حقه إذ كيف يؤخر بيان المراد بهذا الحديث مع مساس حاجة المسلمين إلى ذلك؛ حتى يأتي القرن الثاني عشر فيبينه لرجل أمي لا

---

(١) (١/ ٣١).
(٢) (١/ ٥١) و(١/ ١٢٢).
(٣) (١/ ٥٣).
(٤) «تنوير الحلك» ـ ضمن الحاوي (٢/ ٢٦٠).

علم له بالكتاب والسنة اسمه عبد العزيز الدباغ؟

* إفاضة أخرى حول رؤية رسول الله ﷺ في اليقظة:

معالم الصواب في هذه المسألة يتمثل في النقاط الآتية:

أولاً: أن الله سبحانه وتعالى حينما بعث نبيه ﷺ أنزل عليه القرآن وآتاه الحكمة، فحد الحدود وبين الشرائع والأحكام، فما دلت الشريعة المطهرة على إثباته أثبتناه، وما دلت على نفيه نفيناه، وما اختلف فيه رد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ إذ هما المرجع في هذا الباب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [النساء: ٥٩]، ولم يمت النبي ﷺ؛ إلا وقد أكمل الله به الدين وأتم به على عباده النعمة، كما قال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣].

ولم يرد في القرآن شيء يدل على رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا، وكذلك لم يرو شيء في السنة المطهرة.

ثانيًا: أما الاستدلال بحديث: «**من رآني في المنام، فسيراني في اليقظة**»، فالجواب عليه: أن في تأويل «**فسيراني في اليقظة**»[١] سبعة أوجه[٢]:

أحدها: كما قال ابن التين: المراد به من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذٍ غائبًا عنه؛ فيكون بهذا مبشرًا لكل من آمن به ولم يره أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته.

---

(١) رواه البخاري في «التعبير» (٤/ ٢٩٩)، (٦٩٩٣)، ومسلم في «الرؤيا» (٤/ ١٧٧٥) عن أبي هريرة، ورواه البخاري، ومسلم عن أبي قتادة، ورواه البخاري عن أنس، ومسلم عن جابر، والبخاري عن أبي سعيد.

(٢) كما يؤخذ من مجمل ما ذكره ابن حجر في «الفتح» (١٢/ ٣٨٤) وما بعدها.

الثـانـي: معناه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق، وهذا قول ابن بطال.

الثالث: أنه على التشبيه والتمثيل، ودل عليه قوله في الرواية الأخرى: «**فكأنما رآني في اليقظة**».

الرابع: أنه يراه في المرآة التي كانت له إن أمكنه ذلك، وهذا من أبعد المحامل كما قال في «الفتح»، وهو لابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٤/٣٣٨) مستدلاً عليه بأن ابن عباس رآه في النوم، فبقي بعد أن استيقظ متفكرًا في هذا الحديث، فدخل على بعض أمهات المؤمنين ـ ولعلها خالته ميمونة ـ، فأخرجت له المرآة التي كانت للنبي ﷺ فنظر فيها، فرأى صورة النبي ﷺ ولم ير صورة نفسه[١].

الخامس: أنه سيراه في الآخرة، وتعقبه ابن بطال قائلاً:

«إنه في الآخرة يراه جميع من رآه في المنام، ومن لم يره؛ فلا يبقى لخصوص رؤيته في المنام مزية»، وأجاب عن ذلك القاضي عياض باحتمال أن تكون رؤياه له في النوم على الصفة التي عُرِف بها ووصف بها موجبة لتكرمته في الآخرة، وأن يراه رؤية خاصة من القرب منه والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات، ولا يبعد أن يعاقب اللَّه بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية نبيه ﷺ عليه مدة».

قلت: لاح لي جواب أقرب من هذا وأحسن وأوقع في النفس، ثم رُأيت الزرقاني على «المواهب»[٢] ذكره عن الدماميني، وهو أن يقال: من أين

---

(١) لم يسند ذلك ابن أبي جمرة ولا السيوطي في «الحاوي» (٢/٢٥٦)، وحقيق بهذه القصّة أن تكون مكذوبةً، إذ لم نعثر لها على سند!.

(٢) انظر (منه ٥/٢٩٢ ـ ٢٩٥)؛ فقد تكلم بإسهابٍ على هذه المسألة.

للمتعقب أن جميع أمته يرونه في الآخرة؟ أكل من آمن به يأمن من سوء الخاتمة؟ أي بُشرى وفائدة أعظم من أن رؤيته ﷺ في المنام أمان لصاحبها من سوء العاقبة، ضامنة له الموت على الإيمان؟

وقد قال الدماميني في قوله: «**فسيراني في اليقظة**»: «بشارة لرائيه بالموت مسلمًا؛ لأنه لا يراه في القيامة تلك الرؤية الخاصة باعتبار القرب إلا من تحقق موته على الإسلام».

قلت: هذا الوجه هو أحسن الوجوه وأسلمها، وهو ظاهر اللفظ، ولا بشارة فوقه.

السادس: هو أنه يجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنى صورته، وهو دينه وشريعته؛ فيعبر بحسب ما يراه الرائي من زيادة أو نقصان أو إساءة أو إحسان.

السابع: أن يراه في الدنيا حقيقة ويخاطبه، قال ابن أبي جمرة: ونقل عن جماعة من الصالحين[1] أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام، ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين، فأرشدهم إلى طريق تفريجها، فجاء الأمر كذلك.

قال الحافظ ابن حجر: «هذا مشكل جدًّا، ولو حمل على ظاهره، لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة، ويعكر عليه أن جمعًا جمًّا رأوه في المنام، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يتخلف».

---

(١) على ما فصله السيوطي في «تنوير الحلك»، وقبله ابن الحاج في «المدخل» (٤/ ٣٠٣)، وألمح إليه الغزالي في «المنقذ من الضلال» (٣١)، والجيلي في «الإنسان الكامل» (٢/ ٥٠).

قلت: هـذه الجملة كافـية في بطلان هـذا الاحتمال؛ لأنه لـو كان هذا الاحتمال هو معنى هذا الحديث لـزم أن كل من رآه في المنام يراه يقظة، وهذا باطل بديهة؛ لكثرة الرائين له في المـنام في كل عصر، ولم يدع أحد منهم أنه رآه يقظة، ولا خطر ذلك عـلى قلبه؛ فيبطل هذا الاحتمال لمـا يلزم عليه من تخلف قول الصادق المصدوق.

ثـالـثًا: أنكر العلماء هذا القول، وعـدّوه من الأخطاء التي ينبغي أن لا يتفوّه بها، وهي مـن الشطط والغلط، وإليك جملاً من عبـاراتهم، وشيئًا من مقالاتهم:

● قال صاحـب «المواهب اللدنـية»: «وأما رؤيتـه ﷺ في اليقظـة بعد موته عليه الصلاة والسلام؛ فقـال شيخنا ـ يعني: السخاوي ـ[1]: لم يـصل إلينا ذلك عن أحـد من الصحابة، ولا عمن بعدهم، وقد اشـتد حزن فاطمة عليه ﷺ حتى ماتت كـمدًا بعده بستة أشهر على الصحيـح، وبيتها مجاور لضريحـه الشريف، ولم ينقـل عنها رؤيته فـي المدة التي تأخرتهـا عنه، وإنما حُكي عن بـعض الصالحين حكـايات عن أنفسهـم كما هو في كتـاب «توثيق عرى الإسلام» لـلبارزي، و«بهـجة النفـوس» لأبي محمـد عبد اللّـه بن أبي جمرة، و«روض الرياحين» للعفيف اليافعي، والشيخ صفي الدين أبي المنصور في «رسالتـه» منه، ويأتي إن شاء اللّه مـا قيل في هذه الحكايـات المروية عن الصالحين».

(١) صنف الـسخاوي رسالة فـي الرد على السـيوطي في هذه المـسألة، وسماهـا بـ«الإرشاد والموعـظة لـزاعم رؤيـة النـبي ﷺ بعد مـوته في اليـقظة»، كمـا في «الضوء الـلامع» (٨/ ١٩)، و«فهـرس الفـهارس» (٢/ ٩٩١)، و«إيضـاح المكـنون» (٢/ ٤٢٠)، و«هـدية العارفين» (٢/ ٢٢١).

● قال شارحه الزرقاني في قوله: «ولا عمن بعدهم كالتابعين»: «ولم يرد في ذلك شيء عن النبي ﷺ؛ إلا ما قد يؤخذ من قوله: «**فسيراني في اليقظة**» على أحد الاحتمالات، بخلاف حديث رؤياه منامًا، فقد قال السيوطي: إنه متواتر».

وقال عند قوله: «في المدة التي تأخرتها عنه»: «فلو كان يرى في اليقظة لرأته لاشتداد حزنها، ولم يقع ذلك إذ لو وقع لنقل، ورُد هذا بأن عدم نقله لا يدل على عدم وقوعه، وتعقب بأنه ظاهر لو جعله المانع دليلاً قطعيًّا على أنه لا يرى يقظة، وإنما جعله ظاهرًا في عدم وقوعه لفاطمة، وقول غيرها: إنه يراه يقظة مؤول؛ فلا يتم أنه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل».

قلت: بل الظاهر أن عدم وقوع ذلك لفاطمة دليل قطعي؛ لأنه لو كان يرى لرأته، إذا لا أحد أولى منها بذلك، ولو وقع لها أو لغيرها لنقل متواترًا لما له من الدواعي التي توجب نقله متواترًا؛ كما وقع في حديث رؤيته منامًا، وهذا أولى منه بذلك .

● وقد اشتد إنكار القرطبي[1] على من قال: « من رآه في المنام؛ فقد رأى حقيقته، ثم يراها كذلك في اليقظة»؛ قال: وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها، وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين، وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطبوه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره الشريف من جسده الشريف، فلا يبقى في قبره منه شيء، فيزار مجرد القبر، ويُسلم على

(١) فيما نقله عنه ابن حجر في «الفتح» (١٢/ ٣٨٤).

غائب؛ لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من معقول، وملتزم شيء من ذلك مختل مخبول».

● وقال الألوسي في «روح البيان» عند قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بعد أن ذكر ما حكي منها عن الصالحين: «أقول بعد هذا كله: إن ما نسب إلى بعض الكاملين من أرباب الأحوال من رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته وسؤاله والأخذ عنه، لم نعلم وقوع مثله في الصدر الأول، وقد وقع اختلاف بين الصحابة ﷺ من حين توفي عليه الصلاة والسلام إلى ما شاء اللَّه تعالى في مسائل دينية وأمور دنيوية، وفيهم أبو بكر وعلي ﷺ، وإليهما ينتهي أغلب سلاسل الصوفية الذين تنسب إليهم تلك الرؤية، ولم يبلغنا أن أحداً منهم ادعى أنه رأى رسول اللَّه ﷺ في اليقظة، وأخذ عنه ما أخذ، وكذلك لم يبلغنا أنه ﷺ ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام؛ فأرشده وأزال حيرته، وقد صح عن عمر ﷺ، أنه قال في بعض الأمور: يا ليتني كنت سألتُ رسول اللَّه ﷺ عنه، ولم يصح عندنا أنه توسل إلى السؤال عنه ﷺ نظير ما يحكي عنه بعض أرباب الأحوال، وقد وقفت على اختلافهم في حكم الجد مع الإخوة، فهل وقفت على أن أحداً منهم ظهر له الرسول ﷺ فأرشده إلى ما هو الحق فيه؟ وقد بلغك ما عرا فاطمة البتول ﷺ من الحزن العظيم بعد وفاته ﷺ، وما جرى في أمر فدك؛ فهل بلغك أنه ﷺ ظهر لها كما ظهر للصوفية فبلَّ لوعتها وهوَّن حزنها وبيَّن لها الحال؟! وقد سمعت بذهاب عائشة ﷺ إلى البصرة، وما كان من وقعة الجمل؛ فهل سمعت تعرضه ﷺ لها قبل الذهاب، وصده إياها عن ذلك لئلا يقع أو تقوم الحجة عليها على أكمل وجه؟! إلى غير ذلك مما

لا يكاد يحصى كثرةً.

والحاصل أنه لم يبلغنا ظهوره عليه الصلاة والسلام لأحد من أصحابه وأهل بيته وهم هم مع احتياجهم الشديد لذلك، وظهوره عند باب قُباء كما يحكيه بعض الشيعة[1] افتراء محض وبهتٌ بحت، وبالجملة عدم ظهوره لأولئك الكرام وظهوره لمن بعده مما يحتاج إلى توجيه يقنع به ذوو الأفهام».

رابعًا: والحاصل أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته لم تنقل عن أحد من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية من المصطفى ﷺ؛ إذ كيف يظهر النبي ﷺ للمفضول ولا يظهر للفاضل؟!.

خامسًا: إن رؤية النبي ﷺ يقظة من باب العقائد، والعقائد مبنية على التوقيف؛ فلا يجزم بنفي شيء أو إثباته إلا بدليل يصح الاعتماد عليه، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على إثباتها، ولم يدعيها أحد فيما أعلم من الصحابة ولا من التابعين ولا من أتباعهم، وهذا من أدلة الاستدلال عند أهل الأصول، وهو ما يعرف عندهم: بـ «انتفاء المدرك».

سادسًا: أما ما حكوه عن بعض الصالحين من رؤيتهم النبي ﷺ يقظة؛ فيجاب عنه بأجوبة:

أولاً: إن ما وقع لهؤلاء الشيوخ، هل ثبت عنهم أنه كان يقظة أو منامًا؟ وإذا ثبت أنه كان يقظة، فهل ثبت عنهم بسند صحيح يوثق به؟ وإذا ثبت أنه كان يقظة بسند صحيح يوثق به، فهل هم معصومون من تلبيس الشيطان عليهم؟!

---

(١) وهذه قصة مكذوبة أُخرى، لكنها غير مشهورة عندنا معاشر أهل السنة، ولله الحمد والمنَّة.

كل هذه الأسئلة لا نجد الجواب عليها!.

ثانيًا: ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود أن الصحابة ﷺ لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله، أو جهلوا السنة، أو رأوا أو سمعوا أمورًا من الخوارق؛ فظنوها من جنس آيات الأنبياء والصالحين، وكانت من أفعال الشياطين، فأهل الهند يرون من يعظمونه من شيوخهم الكفار وغيرهم، والنصارى يرون من يعظمونه من الأنبياء والحواريين وغيرهم، والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه، إما النبي ﷺ، وإما غيره من الأنبياء يقظة، ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم، ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي ﷺ وعانقه هو وصاحبيه. وهذا وأمثاله، أعرف ممن وقع له هذا وأشباهه عددًا كبيرًا، وقد حدثني بما وقع له في ذلك وبما أخبره به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضوع بذكرهم، ولكن كثيرًا من الناس يكذب بهذا، وكثيرًا منهم إذا صدق به ظن أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه، ولم يعلم أنه من الشيطان وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان، ومن كان أقلّ علمًا، قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة، وهو وإن ظن أنه قد استفاد شيئًا، فالذي خسره من دينه أكثر»[1].

وقال أيضًا: «وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من رآني في المنام فقد رآني حقًّا؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي**»؛ فهذا في رؤية المنام؛ لأن رؤية المنام تكون حقًّا وتكون من الشيطان، فمنعه اللَّه أن يتمثل به

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٩١ ـ ٣٩٢)، و«الجواب الباهر» (٥٤، ٥٥).

في المنام، أما في اليقظة، فلا يراه أحد بعينه في الدنيا، فمن ظن أن المرئي هو النبي، فقد أُتي من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وبعض من رأى هذا أو صدق من قال إنه رآه، اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة، فخالف صريح المعقول، ومنهم من يقول: إن هذه رقيقة ذلك المرئي (أي: قرينته وشبحه)، أو هذه روحانيته، وهذا معناه لشكل (لعلها تشكل)، ولا يعرفون أنه جني تصور بصورته، ومنهم من يظن أن ذلك ملك والملك يتميز عن الجني بأشياء كثيرة، والشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان، فتارة يخبرونه ببعض الأمور الغائبة ليكاشف بها، وتارة يؤذون من يريد أذاه بقتل أو تمريض، وتارة يسرقون له من أموال الناس، فيعتقد أنها من كرامات الأولياء، وإنما يكون مسروقًا...»(١) .

ثالثًا: إن النبي ﷺ إذا رؤي في المنام وتكلم بشيء أو أمر بشيء، أو نهى عن شيء، فإن كان موافقًا للكتاب والسنة، ولم يخرج حكمًا شرعيًّا ولا قاعدة دينية، علم أن الرؤيا حق، وأن الكلام حق، وتكون الرؤيا بشارة وتأنيسًا للرائي، ولا يجوز إثبات حكم شرعي بمجرد الرؤيا.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في حديث: «**من رآني في المنام فقد رآني**»: «فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به؛ لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظًا لا مغفلاً ولا سيئ الحفظ ولا كثير الخطأ

---

(١) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (٢٩، ٣٠).

ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة، فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه، هذا كله في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاة، أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه، أو ينهاه عن منهي عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة، فلا خوف في استحباب العمل على وفقه؛ لأن ذلك ليس حكمًا بمجرد المنام، بل تقرر من أصل ذلك الشيء، والله أعلم».

وإن كان الأمر مخالفًا لما تلقاه الصحابة ﷺ عن النبي ﷺ، فلا يغير بسبب ما رآه النائم ما تقرر في الشرع، وقد حكى الإمام النووي الاتفاق على ذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما روي أن رجلاً رأى النبي ﷺ في النوم، فقال له: اذهب إلى موضع كذا فاحفره؛ فإن فيه ركازًا فخذه لك ولا خمس عليك فيه. فلما أصبح ذهب إلى ذلك الموضع فحفره، فوجد الركاز فيه، فاستفتى علماء عصره، فأفتوه بأن لا خمس عليه لصحة الرؤيا، وأفتى العز ابن عبد السلام بأن عليه الخمس، وقال: «أكثر ما ينزل منامه منزلة حديث صحيح، وقد عارضه ما هو أصح منه وهو حديث: **«في الركاز الخمس»**.

فإن كان هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة فيما يدعي النائم أنه أخذه عن النبي ﷺ في النوم مع ثبوت رؤيته ﷺ في المنام في الأحاديث الصحيحة، فكيف بما يزعمون أنهم أخذوه عن النبي ﷺ بعد موته في اليقظة مع أنها مردودة بالشرع والعقل كما سبق؟!.

سابعًا: إن اتصال النبي ﷺ بالناس قد انقطع بوفاته كما دل على ذلك الكتاب والسنة، فمن ذلك حديث ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ، قال: **«إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً»**، ثم قرأ: ﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا**

عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناسًا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي. فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ...﴾ إلى قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾».

قال الألوسي: «ومعنى الجملتين أني ما دمت فيهم كنت شاهدًا لأحوالهم، فيمكن لي بيانها، فلما توفيتني كنت أنت المشاهد لها لا غيرك؛ فلا أعلم حالهم ولا يمكنني بيانها»[١].

ففي الحديث كما ترى تصريح بانقطاع الاتصال بين الرسول ﷺ وبين الناس بعد مماته.

وقال ابن القيم: «فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني، ولدني شيطاني، والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد رسول اللَّه ﷺ»[٢].

● اعلم رحمك اللَّه أن ادعاء الصوفية رؤية النبي ﷺ يقظة عقيدة فاسدة. واعلم أن بعض كبار الصوفية ينفي وقوع رؤية النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في اليقظة: فيقول أبو القاسم القشيري: «وقال بعضهم: في النوم معان ليست في اليقظة، منها: أنه يرى المصطفى صلى اللَّه عليه وآله وسلم والصحابة والسلف الماضين في النوم ولا يراهم في اليقظة»[٣].

● واعلم أن هذه العقيدة مخالفة لإجماع أهل السنة والجماعة، وهي خاصة بأهل البدعة، قال ابن حزم: «واتفقوا أن محمدًا عليه السلام وجميع

---

(١) «روح المعاني» (٧/ ٦٩).

(٢) «مدارج السالكين».

(٣) «الرسالة القشيرية» - باب رؤيا القوم ص(٧١٨).

أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يبعثون مع جميع الناس»[١] .

ما ذكره الحافظ ابن حجر من «أن جمعًا رأوه في المنام، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف»[٢] .

وقال شيخ الإسلام: «وبعض من رأى هذا ـ أو صدق من قال إنه رآه ـ اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة فخالف صريح المعقول»[٣] .

● ويلزم منه أيضًا القول باستمرار التشريع؛ لأن الذين يدعون مقابلته يدعون أنهم يأخذون عنه بعض الأحكام الزائدة على ما هو موجود في الشريعة الإسلامية.

يقول الشيخ محمد طاهر ميغري: «فلو ثبت أن هؤلاء الذين يدعون رؤية النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقظة أنهم يرونه حقًّا ويعطيهم ديانات جديدة إلى الناس لكان كل ما جاءوا به منْ عنده صلى اللَّه عليه وآله وسلم من جملة شريعته، ولو كان كذلك لبطل قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]، ولبطلت أيضًا أحاديث كثيرة يتمسك بها علماء السنة في محاربتهم للبدع وأنواع الضلالات»[٤] .

● ويلزم منه أيضًا أن يكون من رآه في اليقظة صحابيًّا، يقول ابن حجر: «ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في

(١) «مراتب الإجماع» ص(١٧٦).
(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٤٠٢).
(٣) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ص(٤٤).
(٤) «التحفة السنية» ص(٤١).

المنام، ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء، وهذا مشكل جدًّا، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحابة إلى يوم القيامة»[1] .

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز: «ومن زعم من جهلة الصوفية أنه يرى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في اليقظة أو أنه يحضر المولد أو ما شابه ذلك فقد غلط أقبح الغلط، ولبس عليه غاية التلبيس، ووقع في خطأ عظيم وخالف الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم؛ لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦]، فأخبر سبحانه أن بعث الأموات يكون يوم القيامة لا في الدنيا، ومن قال خلاف ذلك فهوكاذب كذبًا بينًا، أو غالط ملبس عليه لم يعرف الحق الذي عرفه السلف الصالح»[2] .

● ويلزم من هذا القول حسب ما يدعي الصوفية رمي النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بالافتقار إلى الحكمة في تصرفاته، حيث يخرج من قبره لتوافه الأمور ويغيب عن حضور مهمات الأمور، وبيان ذلك: أن أمورًا عظيمة وقعت لأصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم وهم أفضل الأمة بعد نبيها كانوا في حاجة ماسة إلى وجوده بين أظهرهم ولم يظهر لهم.

*** فائدة:**

نقل السيوطي عن بعض أهل العلم احتجاجه على حياة الأنبياء بأن النبي

---

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٤٠٢).

(٢) «التحذير من البدع» للشيخ ابن باز ص(١٨).

صلى اللَّه عليه وآله وسلم اجتمع بهم ليلة الإسراء في بيت المقدس[(١)] .

ومقصده أن حياتهم في قبورهم تدل على إمكان رؤيتهم، وما دام هذا ممكنًا في حق النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم معهم فيمكن أن يكون جائزًا في حق أولياء أمته معه، فيرونه في اليقظة. والجواب على هذه الشبهة أن يقال:

أولاً: ليس النزاع في حياة الأنبياء في قبورهم ولا في اجتماع النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بهم ليلة الإسراء وصلاته بهم إمامًا، فإن ذلك كله ثابت رواية، فيجب على جميع المؤمنين التصديق به.

ثانيًا: أن مما يجب أن يعلم أن حياة الأنبياء في قبورهم حياة برزخية لا نعلم كيف هي، وحكمها كحكم غيرها من المغيبات، نؤمن بها ولا نشتغل بكيفيتها، ولكننا نجزم بأنها مخالفة لحياتنا الدنيا.

قال ابن القيم: «وأما إخبار النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم عن رؤية الأنبياء ليلة أسري به فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذي رآه أشباحهم وأرواحهم. **وقد رأى إبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، ورأى موسى قائمًا في قبره يصلي، وقد نعت الأنبياء لما رآهم نعت الأشباح، ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا: هذه الرؤية إنما هي لأرواحهم دون أجسادهم، والأجساد في الأرض قطعًا إنما تبعث يوم بعث الأجساد، ولم تبعث قبل ذلك، إذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الأرض قبل يوم القيامة، وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور وهذه موتة ثالثة وهذا باطل قطعًا**[(٢)] ، ولو

(١) «التنوير» (٢/ ٢٦٣).

(٢) لقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

كانت قد بعثت الأجساد من القبور لم يعدهم الله إليها بل كانت في الجنة. وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الله حرم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها هو، وهو أول من يستفتح باب الجنة وهو أول من تنشق عنه الأرض على الإطلاق»[١].

وأكد ـ رحمه الله ـ اختلاف حياتهم عليهم السلام في قبورهم عن حياتهم الدنيا، فقال: «وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا بحيث لا يبقى لها التفات إليه ألبتة. وقد ذكر في أول الجواب من الأحاديث والآثار ما يدل على ردها إليه وقت سلام المسلم، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن»[٢].

قلت: وعلى هذا فهمنا من التعلق الرابع أن حياة الأنبياء بعد الموت حياة خاصة تغاير الحياة الدنيا كل المغايرة، فأجسادهم موجودة في قبورهم

---

(١) «الروح» ص(٦٣)، والحديث أخرجه البخاري: في «الرقاق» (٦٥١٧، ٦٥١٨). عن أبي هريرة ومسلم: في «الفضائل» (١٦٠، ٤/ ١٨٤٤).

(٢) «الروح» ص(٦٢).

وأرواحهم في السماء والاتصال بينهما حاصل بالكيفية التي يعلمها اللَّه، قال ابن القيم أيضًا: «وقد صح عنه أن رأى موسى قائمًا يصلي في قبره ليلة الإسراء، ورآه في السماء السادسة أو السابعة، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه وتعلق به، بحيث يصلي في قبره ويرد سلام من سلم عليه وهو في الرفيق الأعلى»[(١)] .

إذا تقرر هذا وفهم على وجهه علمنا يقينا أن قياس ما يدعيه الصوفية من مقابلة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم والجلوس معه ومخاطبته في اليقظة على حال الأنبياء ولقاء المصطفى صلى اللَّه عليه وآله وسلم بهم ليلة الإسراء قياس فاسد الاعتبار؛ لأنه مع الفارق بل لا نسبة بين المقيس والمقيس عليه هنا.

* **فائدة:** إن رؤية النبي ﷺ يقظة قال بها: السيوطي، وابن أبي جمرة، ويوسف النبهاني، وابن حجر المكي الهيثمي، والغزالي، وابن الحاج، والسبكي، والعفيف اليافعي، والتيجاني، والحبشي، والبريلوي أحمد رضا، والتبليغيون من العجم.

● قال في «رماح حزب الرحيم»: «ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول اللَّه ﷺ يقظة ومشافهة»[(٢)] .

* **فائدة:** اعلم يا أخي أن الصوفية قد أخذوا هذه العقيدة الفاسدة في الرجعة من الرافضة ووافقوهم عليها تمامًا بتمام، بل وزادوا عليهم في ذلك؛ لأن الرافضة جعلوا الرجعة خاصة بأشخاص معينين معروفين عندهم بأعيانهم

---

(١) «الروح» ص(٦٤).

(٢) «رماح حزب الرحيم» (١/ ١٩٩).

وأسمائهم، وأما حملة الفكر الصوفي فقد اعتقدوا رجعة كثير ممن يعتقد الشيعة رجعتهم، ثم فتحوا الباب للجميع، فكل من ظهر لهم أنه ولي وصار له أتباع، فإن الموت لا يقطع الصلة بينه وبين أتباعه، ولا يحول بينه وبين الإيحاء إلى أصحابه متى أراد، ويستنكف الكثير منهم عن إطلاق لفظ «الموت» على الشيوخ نظرًا لتأصل هذا المعتقد في قلوبهم، فيطلقون ألفاظًا تناسبه، كقولهم: «اختفى الشيخ سنة كذا»، أو: «حج السنة الفلانية» ونحوهما.

ومما يلفت النظر في هذا الصدد أن عقيدتهم في علي بن أبي طالب وفي المهدي لا تختلف عن عقيدة الشيعة في شيء: فإذا كانت الشيعة تعتقد أن عليًّا رضي الله عنه لم يمت وأنه سيرجع فإننا نجد في نصوص الفكر الصوفي نظير هذا الاعتقاد.

يقول الشيخ علي بن محمد وفا: «علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفع كما رفع عيسى عليه السلام وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام» نقله الشعراني وعلق عليه بقوله: «وبذلك قال سيدي علي الخواص...»(١).

*** فائدة:**

نقل الحافظ ابن حجر إنكار القاضي ابن العربي تلميذ الغزالي على من قال برؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، قائلاً: «شذّ بعض الصالحين فزعم أنها - أي الرؤية - تقع بعيني الرأس حقيقة».

● قال الشيخ ملا علي القاري: «إنه - أي ما ادعاه من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته - لو كان له حقيقة لكان يجب العمل بما سمعوه منه

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٩).

ﷺ من أمر ونهي وإثبات ونفي من المعلوم أنه لا يجوز ذلك إجماعًا كما لا يجوز بما يقع حال المنام، ولو كان الرائي من أكابر الأنام. وقد صرح المازري وغيره بأن من رآه يأمر بقتل من يحرم قتله كان هذا من الصفات المتخيلة لا المرئية»[١] .

* البريلويَّة ووَحْل الصوفية:

يعتقد البريلويون أتباع أحمد رضا البريلوي ـ عميل الاستعمار ـ الصوفي أن الرسول ﷺ حاضرًا في كل مكان ناظرًا كل شيء فيقولون: «لا يخلو مكان ولا زمان إلا والرسول ﷺ موجود فيه»[٢] .

وقال: «لا يستبعد من رسول اللَّه ﷺ أن يكون حاضرًا موجودًا في الأماكن المتعددة التي لا تعد ولا تحصى، بوجوده المقدس بعينه»[٣] .

و«الرسول عليه السلام له الخيار في طواف العالم مع أرواح الصحابة ولقد رآه كثير من الأولياء»[٤]

● ويقول البريلوي نفسه: «إن نظرة رسول اللَّه ﷺ على كل ذرة من ذرات العالم في كل حين، وإنه يحضر تلاوة القرآن وقراءة المولد وقراءة القصائد كما إنه يحضر جنازة الصالحين بجسمه الأطهر»[٥] .

● ويقول الكاظمي البريلوي: «إنه ﷺ ليس بحاضر موجود فحسب

---

(١) «جمع الوسائل شرح الشمائل» (٢/٢٣٨).

(٢) «تسكين الخواطر في مسألة الحاضر والناظر» لأحمد سعيد البريلوي ص(٨٥).

(٣) المصدر السابق ص(١٨).

(٤) «جاء الحق» لأحمد يار ص(١٥٤) . ط لاهور باكستان.

(٥) «جاء الحق» ص(١٥٥).

بل إن أهل اللَّه يرونه بأعينهم الحسية في حالة اليقظة في الأوقات الكثيرة»[١].

ويقول: «إن أهل البصيرة يرون رسول اللَّه ﷺ حتى في صلواتهم»[٢].

● وقال البريلوي في «خالص الاعتقاد» ص(٤٦):

«لا فرق بين موته وحياته ﷺ في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونيّاتهم وعزائمهم وذلك عنده جلي لا خفاء».

ويقول البريلوي: «إن كرشنا الكافر كان يحضر في مئات الأمكنة في آن واحد وهذا مع كفره فلم لا يستطيع الأولياء حضورهم في أماكن متعددة؟»، وإن كان هذا للولي فكيف بالنبي ﷺ؟[٣].

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾.

* من صوفيات جماعة التبليغ:

«ذكر محمد أسلم في ص(٢٥ ـ ٢٦) عن الشيخ أبي الحسن الندوي: أنه كتب في كتابه «سيرة السيد أحمد شهيد»، يقول: «وأراد في الليلة السابعة والعشرين أن يحييها ويعبد فيها، لكن غلب عليه النعاس بعد العشاء، فنام، وأيقظه رجلان بإمساك يديه في ثلث الليل، فرأى أن النبي ﷺ جلس عن يمينه، ورأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه جلس عن شماله، ويقول له ﷺ: يا سيد أحمد! قم بسرعة واغتسل. فلما رآهما سيد أحمد، أسرع إلى حوض المسجد على رغم كون الماء في الحوض من البرد كالثلج، فاغتسل من هذا

(١) «تسكين الخواطر» ص(١٨).
(٢) «تسكين الخواطر» ص(٨٦).
(٣) «فتاوى رضوية» للبريلوي (٦/ ١٤٢)، و«ملفوظات» للبريلوي ص(١١٤).

الماء، وفرغ منه، ثم حضر في خدمته ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: يا ولدي! الليلة ليلة القدر، فاشتغل في ذكر اللَّه والدعاء والمناجاة. ثم ذهبا بعد ذلك.

قال الشيخ حمود التويجري: زعم مدعيها أن رسول اللَّه ﷺ وأبا بكر الصديق أمسكا يديه وأيقظاه من نومه وجلسا عن يمينه وعن شماله. ويلزم على هذه الفرية أن يكون اللَّه تعالى قد أحيا نبيه ﷺ وأحيا أبا بكر الصديق رضي الله عنه مثل حياتهما في الدنيا، وأنه أذن لهما بالذهاب إلى الهند ليمسكا بيد أحمد شهيد ويوقظاه من نومه ويجلسا عن يمينه وعن شماله.

وهذه الفرية شبيهة بالفرية التي تذكر عن بعض مشايخ الصوفية، وهي زعمهم أنهم كانوا يجتمعون بالنبي ﷺ ويرونه في اليقظة، وأنه كان يحضر معهم في الموالد وغيرها من مجتمعاتهم.

ولا شك أن هذا من تلاعب الشيطان بالصوفية وأتباعهم من التبليغيين، وتمكنه من اجتياحهم عن دين الإسلام، وإضلالهم بالخرافات والتوهمات التي لا حقيقة لها في الواقع»[١].

● «ومن خرافات مشايخ التبليغيين ما ذكره محمد أسلم في ص(٢١ ـ ٢٢) حيث قال:

«وقد حدثت واقعة عجيبة بعد شهادة جد التهانوي، فجاء إلى بيته مثل الأحياء وأعطى أهل بيته الحلوى، وقال: إذا لم تظهري على أحد أحضر كل يوم هكذا، ولكن خاف أصحاب البيت أنه لو رأى الآخرون أن الأطفال يأكلون الحلويات، فلا يعلم ماذا يثير منهم الشبه، فأظهروا الأمر، فما حضر

(١) «القول البليغ» للشيخ التويجري ص(١٤١ ـ ١٤٢).

مرة ثانية، وهذه الواقعة أمر مشهور في هذه الأسرة»[١] .

* اعتقاد بعض الصوفية إمكان مقابلة الموتى غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

● اعلم يا أخي أن الصوفية لم يجعلوا عقيدتهم في الرجعة خاصة بالنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وإخوانه الأنبياء، بل جعلوها تتناول كل شخص مقدس عندهم، والأشخاص المقدسون في الفكر الصوفي لا يكاد يجوبهم الحصر.

● في ترجمة الشيخ علي العياشي[٢] قال الشعراني: «وكانت الأولياء الأموات يزورونه كثيرًا لا سيما الإمام الشافعي رضي الله عنه، فكان يخبر أنه كان عنده يقظة لا نومًا، وكان من لا يعرف حاله يقول: هذا خراف»[٣]

● وعن تجربته الشخصية تحدث الشعراني نفسه فقال: «وسبب حضوري مولد البدوي كل سنة أن شيخي العارف باللَّه تعالى محمد الشناوي أحد أعيان بيته قد كان أخذ علي العهد في قبة تجاه وجه سيدي أحمد، وسلمني إليه بيده فخرجت اليد الشريفة من الضريح وقبضت على يدي وقال - يعني الشناوي للبدوي -: يا سيدي يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك. فسمعت سيدي أحمد من القبر يقول: نعم»[٤]

● وذكر أيضًا أنه رأى البدوي بعد ذلك مرات عديدة ومن أعجبها ما

---

(١) «القول البليغ» ص(١٤٧).

(٢) صوفي كبير من أصحاب أبي العباس الغمري. مات بعد سنة (٩٠٠هـ)، انظر: «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٦٢).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٦٢)، وهي آخر ترجمة في «الطبقات».

(٤) «المصدر السابق» (١/ ١٥٧).

حكاه فقال: «ولما دخلت بزوجتي فاطمة أم عبد الرحمن وهي بكر مكثت خمسة شهور لم أقرب منها. فجاءني (البدوي) وأخذني وهي معي وفرش لي فرشًا فوق ركن القبة التي على يسار الداخل وطبخ لي حلوى ودعا الأحياء والأموات إليه وقال: أزل بكارتها هنا فكان الأمر تلك الليلة».

● ويقول أيضًا: «تخلفت عن ميعاد حضوري للمولد سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وكان هناك بعض الأولياء فأخبرني أن سيدي أحمد كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح، ويقول: أبطأ عبد الوهاب ما جاء؟»[(١)] .

قلت: إن قصة خروج اليد الشريفة وكشف الستار، ثم السؤال عن عبد الوهاب إن كان لها نصيب من الوقوع فلا تخرج عن كونها عملاً من قبل دجال من دجاجلة الإنس أو الجن.

● يقول الشعراني أيضًا عن أبي العباس الحريثي[(٢)] : «ولقد قصدته في حاجة وأنا فوق سطح مدرسة أم خوند بمصر، فرأيته خرج من قبره يمشي من دمياط وأنا أنظره إلى أن صار بيني وبينه خمسة أذرع، فقال: عليك بالصبر، ثم اختفى رضي الله عنه»[(٣)] .

● أما الشيخ الفوتي فقد تحدث هو الآخر عن تجربته الشخصية في وقوع الرجعة لأولياء التصوف، فقال: «ولما رجعنا من الحرمين حتى بلغنا أرض «برنو» وقع بيني وبين سلطانها اختلاف شديد وسعى في قتلي غدرًا، وأرسل بعض غلمانه ليلاً إلى بيتي ليفتكوا بي وساروا حتى وصلوا البيت الذي كنت

---

(١) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٥٧).

(٢) هو ابن العباس الحريثي زوج ابنة الشيخ محمد عنان، صوفي مصري، من شيوخ الشعراني. مات سنة (٩٤٥هـ). انظر: «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٤٧).

(٣) المصدر السابق.

فيه أنا وعيالي، وكان فيه سور، فلما وصلوا إليه أعمى اللَّه تعالى أبصارهم: فإذا رفعوا أبصارهم نحو السماء رأوا السور وإذا نظروا إلى الأرض لم يرو شيئًا، فلما كان هذا أتى واحد من أصهار السلطان فراشه ليلاً لينام فإذا بالشيخ - يعني التجاني - قد ظهر له يقظة لا منامًا، وقال له: ما لكم وللشيخ عمر، لا تتركون عباد اللَّه في أرض اللَّه، وكرر هذه القولة ثلاث مرات ثم غاب، وتكررت القصة ثلاث مرات كل ذلك يقظة لا منامًا»[1].

● وحكى ابن ضيف اللَّه خلافًا وقع بين الشيخ عجيب والشيخ إدريس الأرباب حول حِلِّية شرب التنباك، فقال الشيخ إدريس: هو حرام. وفي المقابل أفتى الشريف عبد الوهاب بإباحته مثل الشيخ عجيب. استدل الشيخ إدريس على تحريمه بأن السلطان مصطفى سلطان استنبول حرمه، ومذهب مالك إطاعة السلطان. ولما كان القاضي دشين مدمنًا لشرب التنباك حتى وفاته انتهز الشيخ عجيب هذه الفرصة فأرسل دفع اللَّه إلى قبر دشين ليسأله عن حكم التنباك - لعله يجد منه فتوى بتحليله - لكن لسوء الحظ قال له: التنباك حرام. كلم الشيخ إدريس يسأل لي المغفرة بسبب شربي له»[2].

● وأخيرًا نجد عند الشيخ طنطاوي جوهري قصة غريبة ذكرها تحت مبحث إمكان مقابلة الأحياء للأموات زعم فيها رجعة هارون الرشيد ومقابلته إياه، فيقول تحت عنوان: «هارون الرشيد يخاطبني»: إن هارون الرشيد طلب منه طلبًا ألح عليه فيه فقال: «بحق اللَّه، بحق النبي، بحق القرآن ألا فعلته؟ فأكدت له أني أفعل ذلك. فقال: واللَّه إن جعفرًا ما زنى بأختي العباسة ولا زوَّجته لها، ولكنه رجل خانني فقتلته. فهل تعاهدني أن تسهر الليل وتجد

---

(١) «الرماح» (١/ ١٨٩ - ١٩٠).

(٢) «طبقات ابن ضيف اللَّه» ص(٥٢ - ٥٣).

النهار وتقرأ في الكتب وتبحث فيها؛ حتى تؤلف كتابًا به تطفئ النار المتأججة في الشرق والغرب وتدفع الأكاذيب التي نشرها جورجي زيدان؟ فعاهدته على ذلك»، ثم ذكر أنه بعد هذه المقابلة قام يبحث فوجد في المكتبة كتابًا اسمه «العباسة أخت هارون الرشيد» فاشتراه، ووقف على تفاصيل القصة، وبحث في كتب التاريخ فوجد أنها رواية خيالية يكذبها العلم، فألف كتابًا استجابة لطلب الرشيد اسمه (براءة العباسة أخت هارون الرشيد)[1] .

* الديوان الصوفي الذي يحكم العالم يحضره الموتى من الأولياء بل ويحضره النبي ﷺ والخلفاء:

لأولياء الصوفية حكومة خفية، يرون أن عليها يتوقف نظام العالم، ورئيس مجلس هذه الحكومة الأعلى يدعى «القطب» وهو ـ كما تقرر مصادرهم ـ أرفع صوفية عصره درجة، وإليه رئاسة الاجتماعات التي يعقدها في انتظام مجلس شوراه الموقر وهو صاحب القرار الأول والأخير فيه، وأعضاء هذا المجلس لا يعوقهم عن الحضور حواجز الزمان والمكان، فهم يأتون من أرجاء الأرض في لمحة البصر أو أقرب، يعبرون البحار والجبال والصحاري في يسر بالغ، كما يسير عوام البشر في السهل الممهد، ودون رئيس هذا المجلس يحضر طبقات ودرجات مختلفة من الأولياء[2] الأساسيين والمتطفلين أيضًا.

ملحوظة: القطب: قال عنه الشيخ عبد الرحمن الوكيل: «أسطورة خرافية، تنزع إلى تجريد الله من الربوبية والإلهية وخلعهما على وهم باطل

---

(١) كتاب «الأرواح» لطنطاوي جوهري ص(٣٢٣ ـ ٣٢٥).

(٢) «الإبريز» ص(١٦٣ ـ ١٦٤).

يسمى في الفلسفة «العقل الأول» وفي المسيحية «الكلمة»، وفي الصوفية «القطب»[١] .

وفي علو منزلته عند الصوفية يقول أبو العباس المرسي: «لو كان الحق سبحانه يرضيه خلاف السنة لكان التوجه في الصلاة إلى القطب الغوث أولى من التوجه إلى الكعبة»[٢] !.

أولاً: مكان الديوان وترتيبات انعقاده:

يقول الدباغ: «الديوان يكون بغار حراء، فيجلس الغوث خارج الغار، ومكة خلف كتفه الأيمن، والمدينة أمام ركبته اليسرى، وأربعة أقطاب عن يمينه، وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس ﷺ وثلاثة أقطاب عن يساره واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة، والوكيل أمامه - يعني الغوث - وفي هذا الوقت مالكي أيضًا، واسمه محمد بن عبد الكريم البصراوي. ومع الوكيل يتكلم الغوث. ولذلك سمي وكيلاً؛ لأنه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان. والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته، ويحضره النساء وعددهن قليل وصفوفهن ثلاثة في جهة الأقطاب الثلاثة التي على اليسار»[٣] . و«تحضره الملائكة، ويحضره أيضًا الجن الكمل. وفائدة حضور الملائكة والجن أن الأولياء يتصرفون في أمور تطيق ذواتهم الوصول إليها، وفي أمور أخرى لا تطيق ذواتهم الوصول إليها فيستعينون بالملائكة وبالجن في الأمور التي لا تطيق ذواتهم الوصول إليها».

---

(١) «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل ص(١٢٤).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٣).

(٣) «الإبريز» ص(١٨٣).

«إن في كل مدينة من المدن عدداً من الملائكة، يكونون موجودين عونًا لأهل التصرف من الأولياء فيما لا تطيقه ذات الولي. وهؤلاء الملائكة يكونون على هيئة بني آدم».

وسئل الدباغ هل يكون الديوان في موضع آخر غير غار حراء؟ فقال: نعم يكون في موضع يقال له: «زاوية أسا» خارج أرض سوس بينها وبين أرض غرب السودان فيحضره أولياء السودان ومنهم من لا يحضر الديوان إلا في تلك الليلة. ولا يجتمع نحو العشرة منهم في موضع قط إلا في الموضعين السابقين؛ لأن الأرض لا تطيقهم»[1].

ثانيًا: وقت انعقاد المجلس:

قال: «وفي تلك الساعة ـ يعني قبيل الفجر ـ يجتمع أهل الديوان من أولياء اللَّه تعالى من سائر أقطار الأرض، وفيهم الغوث والأقطاب السبعة وأهل الدائرة والعدد، ويكون اجتماعهم بغار حراء خارج مكة. وهم الحاملون لعمود نور الإسلام، ومنهم تستمد جميع الأمة»[2].

ثالثًا: النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم والخلفاء الأربعة والحسن والحسين وأمهما أعضاء في الديوان أيضًا:

يقول الدباغ الذي تولى شرح أحوال الحكومة: «وإذا حضر سيد الوجود مع غيبة الغوث، فإنه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء رضي الله عنهم»[3]

(١) «الإبريز» ص(١٩٠).
(٢) «الإبريز» ص(١٠٨).
(٣) «الإبريز» ص(١٩٠).

رابعًا: والموتى أيضًا يحضرون الديوان:

يقول أيضًا: «ويحضره ـ يعني الديوان ـ بعض الكمل من الأموات ويكونون في الصفوف مع الأحياء ويتميزون بثلاثة أمور:

أحدها: أن زيهم لا يتبدل بخلاف ذي الحي وهيئته، فإذا رأيت في الديوان رجلاً على زي لا يتبدل فاعلم أنه من الموتى، كأن تراه محلوق الشعر لا ينبت له شعر، واعلم أنه على تلك الحالة مات.

ثانيها: أنه لا تقع معهم مشاورة في أمور الأحياء؛ لأنهم لا تصرف لهم فيها.

ثالثها: أن ذات الميت لا ظل لها، فإذا وقف الميت بينك وبين الشمس فإنك لا ترى له ظلاً. وكم مرة أذهب إلى الديوان أو إلى مجمع من مجامع الأولياء وقد طلعت الشمس فإذا رأوني من بعيد استقبلوني فأراهم بعين رأسي متميزين هذا بظله وهذا لا ظل له»(١) .

خامسًا: اللغة الرسمية لأهل الديوان:

يقول الدباغ: «وسيدي عبد الله البرناوي كان يحسن السريانية أكثر لمخالطته أهل الديوان؛ فإنهم لا يتكلمون إلا بها»(٢) .

ويقول: «إن اللغة السريانية هي لغة الأرواح وبها تتخاطب الأولياء من أهل الديوان فيما بينهم لاختصارها وحملها المعاني الكثيرة التي لا يمكن أداؤها بمثل ألفاظها في لغة أخرى»(٣) .

---

(١) «الإبريز» ص(١٨٤).

(٢) «الإبريز» ص(١٢١).

(٣) «الإبريز» ص(١١٩، ١٨٨).

سادساً: الموضوعات التي يتباحثون حولها:

يجمل لنا عبد العزيز الدباغ مضمون الجدول الدائم لأعمال مؤتمرات الأقطاب فيقول: «إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد، فهم يتكلمون في قضاء اللَّه تعالى في اليوم المستقبل والليلة التي تليه، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية، وحتى في الحجب السبعين، وحتى في عالم الرقّا وهو ما فوق الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف، وإذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش فما ظنك بغيره من العوالم. ويضيف الدباغ: إن القط لا يأكل الفأر إلا بإذنه هو»[1].

تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علواً كبيرًا، ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾.

أخي: إن لم يكن هذا هو الكفر فليس هناك كفر على وجه الأرض.

* النبي ﷺ لم يمت في اعتقاد البريلوية والأولياء موتهم مثل البرق الخاطف:

«قال البريلوي: إن الأولياء والأنبياء لا يموتون ويدفنون أحياء وحياتهم في القبر حياتهم في الدنيا، بل أكثر منها وأفضل، فيقول البريلوي في الأنبياء: «إن حياة الأنبياء حياة حقيقية حسية دنيوية يطرأ عليهم الموت لثانية من الثواني ليصدق وعد اللَّه، وإلا بعد الثانية من الوقت يرجع لهم الحياة

---

(١) «الإبريز» ص(١٨٩ ـ ١٩٠).

ويصيرون كما كانوا ويحكم على هذه الحياة بالأحكام الدنيوية ولأجل ذلك لا يقسم ميراثهم ولا يزوج من أزواجهم ولا عليهم من عدة، فإنهم يأكلون في قبورهم ويشربون ويصلون»[١] .

وقال الآخر: «إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي اللَّه»[٢] .

● ويقول الآخر: إن الأنبياء أحياء في قبورهم وهم يمشون فيها ويتماشون، يصلون فيها ويتكلمون، وفي أمور الخلق يتصرفون»[٣]

● وأما النبي الكريم ﷺ فيقولون: إنه قبل دفنه كان حيًّا يتكلم كما صرّح بذلك البريلوي نفسه فيقول: «إن رسول اللَّه ﷺ لما نزل به الصحابة إلى قبره كان يتكلم ويقول: أمتي أمتي»[٤] .

● ويقول الآخر: «لم يطرأ الموت على رسول اللَّه ولا للحظة؛ لأنه عند ما أريد قبض روحه للحظة كانت الحياة موجودة في جسده»[٥] .

● وقال الكاظمي: «لما وُضعت جنازة أبي بكر ﷺ أمام الحجرة الشريفة نادى رسول اللَّه ﷺ والناس قد سمعوا نداءه: أدخلوا الحبيب إلى الحبيب»[٦] .

● ويقول آخر: «إن موت أولياء اللَّه كمثل الرؤية التي يرونها للحظة

---

(١) «ملفوظات للبريلوي» (٣/ ٢٧٦) نقلاً عن كتاب «البريلوية» ص(٧٩ - ٨٠) للشيخ إحسان إلهي ظهير.

(٢) «رسول الكلام» لديدار علي ص(١).

(٣) «حياة النبي» للكاظمي ص(٣).

(٤) رسالة «نفي الفيء عمن أنار بنوره كل شيء» للبريلوي المندرجة في «مجموعة رسائل رضوية».

(٥) «حياة النبي» للكاظمي ص(١٠٤).

(٦) «حياة النبي» ص(١٢٥).

كالبرق الخاطف»[١] .

ونقل البريلوي: «أن شخصًا مات، ولما حضره شيخه ليقبره فتح عينيه، فقال له: حي أنت؟ قال: نعم أنا حي، وكل محب للَّه حي»[٢] .

*** تعظيم القبور وعبادتها.. بل وتعظيم الأماكن التي بها القبور:**

أول شرك كان بسبب تعظيم القبور وهو شرك قوم نوح، قال تعالى: **﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً﴾** .

يقول أبو الهدى الصيادي الرفاعي: «البغل المزركش»:

بيتان حج العارفون إليهما بيت الرسول وشبله ببطاح
أعني به المولى الرفاعي الذي خُلِقت أنامله من الأرباح[٣]

ويقول أيضًا مصرحًا بأن قبر الرفاعي هو كعبة أتباعه:

هو كعبة العشاق فالزم ركنه وابشر بنور القلب والأفراح

● ويورد ابن ضيف اللَّه في «طبقاته» تراجم كثير من الصوفية ويردد كثيرًا «وقبره كعبة محجوجة»[٤] .

● وانظر كيف انتقلت العدوى إلى «ابن الحاج» فيقول عن قبور الصالحين: «فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم فإنهم الواسطة

---

(١) «الفتاوى النعيمية» ص(٢٤٥).
(٢) «أحكام قبور مؤمنين» المندرج في «رسائل رضوية» ص(٢٤٣).
(٣) «قلادة الجواهر» ص(٤٣٣).
(٤) انظر: ص(٢٥٣، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٧٣) من «طبقات ابن ضيف اللَّه».

بين اللَّه وخلقه. وما زال الناس من العلماء والأكابر كابرًا عن كابر مشرقًا ومغربًا يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حسًّا ومعنى»[١] .

● ينقل الشعراني عن الشيخ محمد بن أحمد الفرغل أنه كان يقول:

«أنا من المتصرفين في قبورهم، فمن كانت له حاجة فليأت إليّ قبالة وجهي ويذكرها لي أقضها له»[٢] .

● وينقل عن الشيخ شمس الدين الحنفي نه كان يقول في مرض موته:

«من كانت له حاجة فليأت إلى قبري ويطلب حاجته أقضها له، فإن ما بيني وبينكم غير ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل»[٣] .

● ويذكر الشعراني ترجمة الشيخ حياة بن قيس الحراني ويقول عنه: «هو أحد الأربعة الذين يتصرفون في قبورهم بأرض العراق وكان أهل حران يستسقون به فيسقون»[٤] .

● ويقول الشعراني في «طبقاته» ص(٢٦٣ ـ ٢٦٤):

«وأخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوي رضي اللَّه عنه أن شخصًا أنكر حضور مولده ـ أي مولد أحمد البدوي ـ، فسلب الإيمان، فلم يكن فيه شعرة تحنّ إلى دين الإسلام، فاستغاث بسيدي أحمد رضي اللَّه عنه، فقال: والنساء، فقال له سيدي أحمد رضي اللَّه عنه: ذلك واقع في الطواف، ولم يمنع أحد منه، ثم قال: وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب،

---

(١) «المدخل» لابن الحاج (١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٨).
(٢) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ٩٣).
(٣) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٨٦).
(٤) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٣٠).

وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار، وأحميهم من بعضهم بعضًا أفيعجزني اللَّه عز وجل عن حماية من يحضر مولدي!!!.

● . . . ووقع ابن اللبان في حق سيدي أحمد رضي اللَّه عنه فسُلب القرآن والعلم والإيمان، فلم يزل يستغيث بالأولياء، فلم يقدر أحد أن يدخل في أمره فدلوه على سيدي ياقوت العرشي فمضى إلى سيدي أحمد رضي اللَّه عنه وكلمه في القبر وأجابه، وقال له: (أنت أبو الفتيان) ردّ على المسكين رأس ماله، فقال: بشرط التوبة فتاب ورد عليه رسماله»؟!!.

● ويقول أبو الهدى الصيادي: «وقد جرّب الناس بالمشرق والمغرب وسائر الديار زيارة مقابر أهل البيت الأخيار فوجدوها بابًا لدفع الأكدار وسلمًا لبلوغ الأوطار. . .

جثثت بطيبة والغَرِيّ وكربلا والطوس والزورا وسامراء
ما زرتهم في حاجة إلا انقضت وتبدل الضراء بالسراء[1]

* على درب الشيعة هم سائرون:

والصوفية في تعظيمهم المشاهد والقبور سائرون على درب الشيعة، وكم من نسب وثيق بينهما، انظر إلى الشيعي يقول عن كربلاء:

هي الطفوف فطف سبعًا بمغناها فما لمكة معنى مثل معناها
أرض ولكنما السبع الطباق لها دانت وطأطأ أعلاها لأدناها

كم صلة بين التصوف والتشيع في تعظيم المشاهد والقبور بل ما أفسد على الناس دينهم إلا التشيع والمشهد العسقلاني المنسوب زورًا إلى الحسين بن

---

(١) «قلادة الجواهر» ص(٤٣٩).

علي رضي الله عنه شاهد على ذلك. ولله در شيخ علماء الديار المصرية لما قال لجوهر الصقلي: «غيّرتم دين الأمة، وأطفأتم نور السنة، وادعيتم ما ليس لكم»، وليس بعجيب أن أول من لقب بالصوفي هو جابر بن حيان أو عبْدك الشيعي.

* قبور الكلاب وقضاء الحاجات: «صوفية الكلاب»:

أخي: إن أردت أن ترى الجنون كل الجنون الذي لا ينتطح فيه عنزان فتعال إلى طبقات الشعراني في ترجمة «يوسف العجمي الكوراني»، يقول الشعراني عنه: «لقد وقع بصره يومًا على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب إن وقف وقفوا، وإن مشى مشوا، فأعلموا الشيخ بذلك، فأرسل خلف الكلب، وقال: اخسأ فرجعت عليه الكلاب تعضه حتى هرب منها. ووقع له مرة أخرى أنه خرج من خلوة الأربعين، فوقع بصره على كلب، فانقادت إليه إليه جميع الكلاب، وصار الناس يهرعون إليه في قضاء حوائجهم، فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب يبكون، ويظهرون الحزن عليه، فلما مات أظهروا البكاء والعويل، وألهم الله تعالى بعض الناس فدفنوه، فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا»[١].

هذه صوفية الكلاب... قضاء الناس حوائجهم من الكلاب وعكوف الكلاب حول قبر الكلاب... ما هذا؟!!

* مرابطة التبليغيين الأعاجم حول القبور «الاستمداد»:

يقول الشيخ محمد تقي الدين الهلالي عن الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ:

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٣٧٤ ـ ٣٨٥).

«توجه محمد إلياس إلى شيخ الطريقة رشيد أحمد الكنكوهي فبايعه وأخذ منه الطريقة، ثم جدّد البيعة بعد وفاة الكنكوهي على يد الشيخ خليل أحمد السهارنبوري ـ وصحب الشيخ أشرف علي التهانوي. وبعد وفاة الشيخ الكنكوهي كان محمد إلياس يفرش حصيراً عند قبر عبد القدوس الكنكوهي. ودخل الخلوة عند قبر الشيخ نور محمد البدايوني. قال الراوي: فكنا نذهب إليه ونصلي معه هناك بالجماعة»[١] .

● يقول الشيخ تقي الدين الهلالي أيضًا في «السراج المنير» ص(٧٦ ـ ٧٧):

«قال محمد أسلم: قال الشيخ محمد سردار الباكستاني الساكن في باب المجيدي: ظللت في جماعة التبليغ عشر سنين تقريبًا، وكثيراً ما ذهبت مع الشيخ محمد يوسف الدهلوي أمير جماعة التبليغ ـ ذاك الوقت ـ قريبًا من نصف الليل إلى قبر محمد إلياس ـ رحمه اللَّه «في محلة نظام الدين» مقر الجماعة ـ في دلهي. فكنا نجلس حول قبره وقتًا طويلاً في حال المراقبة ساتري الرءوس.

وكان محمد يوسف يقول: إن صاحب هذا القبر شيخنا «محمد إلياس» ـ رحمه اللَّه ـ يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به، وكذلك كنا نجلس أيضًا على قبر الشيخ عبد الرحيم راي بوري في هيئة المراقبة.

● الشيخ محمد يوسف كان يجلس مراقبًا عند قبر النبي ﷺ عدة ساعات خلال قيامه في المدينة المنورة، وهذه الطريقة معروفة بين مشايخ

(١) «سوائح محمد يوسف» ص(١٣٥)، و«السراج المنير» لتقي الدين الهلالي ص(٤٣).

جماعة التبليغ وهم يعملون عليها بالكثرة.

قال محمد تقي الدين: قول محمد يوسف أن صاحب هذا القبر يعني أباه محمد إلياس يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به، هذا يسمى في اصطلاح غيرهم من أهل طرائق التصوف استمداداً. . . وهذا كفر صريح.

● وقد أخبرني الثقات أن عليًّا أبا الحسن الندوي كان يجلس في مسجد النبي ﷺ مستقبلاً الحجرة الشريفة في غاية الخشوع لا يتكلم ساعتين وأكثر فاستغربت لهذا الأمر، وفهمت أنه استمداد، ولم أعلم أن هذا شائع عندهم في طريقتهم، إلى أن كشفه محمد أسلم جزاه اللَّه خيراً، فهذا شرك باللَّه تعالى واتخاذ وسائط بين العبد وبين ربه».

● قال الشيخ حمود التويجري في كتابه:

«وقد ذكر الأستاذ سيف الرحمن بن أحمد الدهلوي في ص(٤٧) من كتابه المسمّى «نظرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية»: أن أكابر أهل التبليغ يرابطون على القبور، وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور، ويقرّون بمسألة حياة النبي ﷺ وحياة الأولياء حياة دنيوية لا برزخية مثل ما يقر القبوريون بنفس المعنى.

ويأتي شيخهم الشيخ زكريا ـ شيخ الحديث عندهم وبمورستهم ببلدة سهارنفور ـ يأتي إلى المدينة المنورة، ويرابط عند قبر النبي ﷺ بالجانب الشرقي من القبر ونحو الأقدام الشريفة، ويذهب في المراقبة عدة ساعات، كما شاهده الكثيرون»[١].

(١) «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للتويجري ص(١٢) ـ دار الصميعي.

* ادعاؤهم حياة الخضر وتعميره:

جعل المتصوفة من قصة الخضر شيئًا يخالف عقيدة أهل السنة، فقد زعموا أن الخضر وإلياس حيّان أبد الدهر. و«أن الخضر صاحب شريعة وعلم باطني يختلف عن علوم الشريعة الظاهرية، وأنه وليّ وليس بنبي».

«وجعل المتصوفة من قصة الخضر بابًا عظيمًا لإدخال كل أنواع الخرافات والزندقة والجهل والإسفاف... بل بلغ الهذيان حده عندهم حيث يوجد من زعم منهم أن الخضر لا يصلي؛ لأنه على شريعة خاصة!! ومنهم من زعم أن الخضر يصلي ولكن على المذهب الحنفي!!

ولكن صوفيًّا آخر يزعم أنه رأى الخضر يصلي ولكن على المذهب الشافعي!! بل وأكثر من ذلك زعموا أن الخضر هو الذي يلقنه أذكار الطريقة الإدرسية والسنوسية»[1].

● «ويبدو أن أول من افترى القصة الصوفية للخضر هو محمد بن علي ابن الحسن الترمذي المسمى بالحكيم والمتوفى في أواخر القرن الثالث الهجري. فيقول في كتابه «ختم الولاية» عن علامات الأولياء:

«وللخضر عليه السلام، قصة عجيبة في شأنهم، وقد عاين شأنهم في البدء ومن وقت المقادير فأحب أن يدركهم، فأعطي الحياة حتى بلغ من شأنه أنه يحشر مع هذه الأمة وفي زمرتهم، حتى يكون تبعًا لمحمد ﷺ، وهو رجل من قرن إبراهيم الخليل، وذي القرنين، وكان على مقدمة جنده، حيث طلب ذو القرنين عين الحياة ففاته وأصابها الخضر... وهذه آياتهم

(١) «الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة» للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ص(٢١٦، ٢١٧).

وعلاماتهم. فأوضح علاماتهم ما ينطقون به من العلم.

قال له قائل: وما ذلك العلم؟

قال: علم البدء، وعلم الميثاق، وعلم المقادير، وعلم الحروف.

فهذه أصول الحكمة وهي الحكمة العليا»[1].

ويذكر الحكيم الترمذي من صفات الأولياء أنه تظهر على أيديهم الآيات كطي الأرض، والمشي على الماء، ومحادثة الخضر الذي زعم أيضًا أن الأرض تطوى له برها وبحرها، سهلها وجبلها، يبحث عن الأولياء شوقًا إليهم[2].

● وفي كتاب «المنتخبات من المكتوبات» لأحمد الفاروقي السرهندي ص(٩١): «المكتوب الثاني والثمانون والمئتان إلى الملا بديع في بيان ملاقاة الخضر وإلياس عليهما السلام:

«رأيت اليوم في حلقة الصبح أن إلياس والخضر عليهما السلام حضرا في صورة الروحانيين فقال الخضر بالإلقاء الروحاني: «نحن من عالم الأرواح، قد أعطى الحق سبحانه أرواحنا قدرة كاملة بحيث تتشكل وتتمثل بصورة الأجسام ويصدر عنها ما يصدر عن الأجسام من الحركات والسكنات الجسمانية والطاعات والعبادات الجسدية.

فقلت له في تلك الأثناء: أنتم تصلون الصلاة بالمذهب الشافعي؟ فقال: نحن لسنا مكلفين بالشرائع، ولكن لما كانت كفاية مهمات قطب الدار مربوطة بنا وهو على مذهب الإمام الشافعي نصلي نحن أيضًا وراءه بمذهب

---

(١) «الفكر الصوفي» ص(٢١٨ ـ ٢١٩)، وكتاب «ختم الولاية» ص(٣٦٢).

(٢) «ختم الولاية» ص(٣٦١).

الإمام الشافعي ﷺ . . . وكمالات الولاية موافقة لفقه الشافعي، وكمالات النبوة موافقة لفقه الحنفي».

● بل ويذكر الشعراني في كتابه «معارج الألباب» عن بعض شيوخه أنه ذكر له أن الخضر عليه السلام كان يحضر مجلس فقه أبي حنيفة في كل يوم بعد صلاة الصبح يتعلم منه الشريعة، فلما مات (أي: أبو حنيفة) سأل الخضر ربه أن يردّ روح أبي حنيفة إلى قبره حيث يتم له علم الشريعة وأن الخضر كان يأتي إليه كل يوم على عادته يسمع منه الشريعة داخل القبر وأقام على ذلك خمس عشرة سنة حتى أكمل علم الشريعة[1] .

* والخضر يُعلّم الأذكار الصوفية كما يدّعي ذلك صالح الجعفري:

● يقول أحمد بن إدريس: «اجتمعت بالنبي ﷺ اجتماعًا صوريًّا ومعه الخضر عليه السلام، فأمر النبي عليه السلام الخضر أن يلقنني أذكار الطريقة الشاذلية فلقنني إياها بحضرته ﷺ»[2] ، ويستطرد أيضًا قائلاً: «ثم قال ﷺ للخضر عليه السلام: يا خضر لقّنه ما كان جامعًا لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار[3] ». ما هذا الهراء وفي هذه الأذكار ما فيها من الشرك؟!.

* هل مات الخضر عليه السلام أم ما زال حيًّا؟

● **أولاً**: من قال إن الخضر عليه السلام ما زال حيًّا:

ذهب الصوفية إلى أن الخضر حي يرزق، وذكر النووي اتفاق الصوفية

(١) «معارج الألباب» للشعراني ص(٤٤).
(٢) «مفاتيح كنوز السماوات والأرض» لصالح محمد الجعفري ص(٨).
(٣) المصدر السابق ص(٨).

على ذلك فقال: «واختلفوا في حياة الخضر ونبوته، فقال الأكثرون من العلماء: هو حي بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر»[١].

ويبدو أنه قد انضم إلى الصوفية في القول بحياة الخضر غيرهم من المشعوذين والمنتسبين إلى الخرافة. يقول ابن الجوزي: «وقد أُغري خلق كثير من المهوسين بأن الخضر حي إلى اليوم، ورووا أنه التقى بعلي بن أبي طالب، وبعمر بن عبد العزيز وأن خلقًا كثيرًا من الصالحين رأوه. وصنف بعض من سمع الحديث، ولم يعرف علله كتابًا جمع فيه ذلك، ولم يسأل عن أسانيد ما نقل. وانتشر الأمر إلى أن جماعة من المتصنعين بالزهد يقولون: رأيناه وكلمناه...»[٢].

وممن رجح القول بحياته القرطبي في «تفسيره»[٣].

● **ثانيًا**: دليل من قال: إن الخضر حي إلى اليوم:

إن الذين ذهبوا إلى أن الخضر عليه السلام حي بين أظهرنا استدلوا على ذلك بنوعين من الأدلة:

أما النوع الأول: فأخبار موقوفة ومرفوعة يروونها في حياته والتقائه ببعض الأنبياء أو الصحابة والتابعين. وأورد الجيلاني أكثر تلك الأخبار

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ١٧٧).

(٢) «الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ١٩٧).

(٣) الجامع «تفسير القرطبي» (٣/ ٢٨٩)، (١١/ ٤١).

مستدلاً بها على حياة الخضر[١].

وأما النوع الثاني: فقصص المنتسبين إلى الزهد والتصوف في لقياهم إياه. وهذه القصص من الكثرة بحيث جعل النووي يقول كلمته السابقة.

● المناقشة:

أما الأحاديث التي تروى في شأن حياته فقد كفانا مؤنة البحث والتفتيش عن أسانيدها علماء العلل المحققون، فأُورد فيما يلي بعض كلماتهم في هذه الصدد:

١ ـ نقل ابن الجوزي تلك الأحاديث بأسانيدها ثم قال: «هذه الأحاديث باطلة»[٢].

٢ ـ قال الحافظ ابن القيم: «والأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد»[٣].

٣ ـ نقل الحافظ ابن كثير تلك الأحاديث ثم قال: «هذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدًّا، لا تقوم بمثلها حجة في الدين»[٤].

وقال أيضًا: «وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك»[٥].

---

(١) «الغنية» للجيلاني (٢/ ٣٩ ـ ٤٠).
(٢) «الموضوعات» (١/ ١٩٥ ـ ١٩٧).
(٣) «المنار المنيف» ص(٦٧).
(٤) «البداية والنهاية» (١/ ٣٣٤).
(٥) «تفسير القرآن» (٣/ ١٦٢).

٤ ـ نقل الحافظ ابن حجر قول أبي الخطاب ابن دحية[١] : «ولا يثبت اجتماع الخضر مع أحد من الأنبياء إلا مع موسى كما قص الله تعالى من خبرهما، وجميع ما ورد في حياته لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل، وإنما يذكر ذلك من يروي الخبر ولا يذكر علته، إما لكونه لا يعرفها، وإما لوضوحها عند أهل الحديث»[٢] .

يقول الأمين الحاج محمد: «نجد المتصوفة والعامة يقولون بحياته وتعميره إلى الآن وحتى قيام الساعة. وليس للقائلين بذلك من حجة سوى الأخبار الواهية والحكايات الباطلة والرؤى المنامية والهواتف الشيطانية»[٣] .

● أقول: ليس بين تلك الأحاديث حديث يلتفت إليه سوى خبر واحد رواه يعقوب بن سفيان: حدثني محمد بن عبد العزيز (الرملي) قال: حدثنا ضمرة (هو ابن ربيعة) عن السري بن يحيى، عن رياح بن عبيدة، قال: «رأيت رجلاً يماشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يديه، فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جاف. قال: فلما انصرف من الصلاة قلت: من الرجل الذي كان معتمداً على يدك آنفًا؟ قال: وهل رأيته يا رياح؟ قلت: نعم. (قال)[٤] ما أحسبك إلا رجلاً صالحًا. قال: ذاك أخي الخضر بشرني أني سألي وأعدل»[٥] .

---

(١) «هو عمر بن الحسن بن علي المشهور بابن دحية. فقيه، محدث، أندلسي، ظاهري، ولد سنة (٥٤٤هـ) وتوفي سنة (٦٣٣هـ) بالقاهرة. انظر: «شذرات الذهب» (٥/ ١٦٠ ـ ١٦١) و«معجم المؤلفين» (٧/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).

(٢) «الزهر النضر» ص(٣٢).

(٣) «الخضر نسبه ـ نبوته ـ تعميره» ص(٢٣).

(٤) ليست عند الفسوي، ولكنها عند ابن الجوزي في «سيرة عمر» ص(٥٤)، و«الموضوعات» (١/ ١٩٩).

(٥) «المعرفة والتاريخ» (١/ ٥٧٧).

فهذا الخبر رغم أن الحافظ ابن كثير نقل عن أبي الفرج ابن الجوزي قوله: «إن الرملي مجروح عند العلماء»(١) . ورغم أن ابن الجوزي نقل عن أبي الحسين بن المنادي(٢) . قوله: «حديث الرياح كالرياح»(٣) . إلا أنه أقل الأخبار الواردة في حياة الخضر ضعفًا وبطلانًا(٤) . ولهذا قال الحافظ ابن حجر: «هذا أصلح إسنادٍ وقفت عليه في هذا الباب»(٥) .

وقال أيضًا: «لا بأس برجاله، ولم يقع لي إلى الآن خبر ولا أثر بسند جيد غيره»(٦) .

وممن أخرج الخبر أيضًا أبو نعيم(٧) ، وابن الجوزي(٨) ، ولم يتكلم فيه تصحيحًا ولا تضعيفًا.

● **ثالثًا**: من قال إن الخضر مات: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الخضر

---

(١) «البداية» (١/ ٣٣٤).

(٢) هو أحمد بن جعفر المعروف بابن المنادي أبو الحسين، عالم مشارك في كثير من العلوم، كثير التصانيف. ولد سنة (٢٥٦هـ) أو (٢٥٧) وتوفي سنة (٣٣٦هـ). انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٢١٩) و«معجم المؤلفين» (١/ ١٨٣).

(٣) «الموضوعات» (١/ ١٩٩).

(٤) محمد بن عبد العزيز صدوق يهم «التقريب» رقم (٦٠٩٣ خ تم س)، وضمرة: صدوق يهم قليلاً «التقريب» رقم (٢٩٨٨ بخ س)، والسري ثقة لم يتكلم فيه غير الأزدي وخطأه العلماء في ذلك. انظر: ترجمته في «التهذيب» (٣/ ٤٦٠ ـ ٤٦١)، و«التقريب» رقم (٢٢٢٣) بخ س. ورياح ثقة «التقريب» رقم (١٩٧٣).

(٥) «الزهر النضر» ص(٧٦).

(٦) «الفتح» (٦/ ٥٠١).

(٧) «الحلية» (٥/ ٢٥٤) في ترجمة عمر.

(٨) «سيرة عمر» ص(٥٤، ٥٥)، وفي «الموضوعات» (١/ ١٩٩).

مات[١] ، وأجمع عليه المحققون منهم[٢] . ومنهم: البخاري[٣] ، وإبراهيم الحربي[٤] . الذي سئل عن بقائه، فقال: «من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان»[٥] ، وأبو الخطاب ابن دحية[٦] ، وأبو الحسين بن المنادي الذي قال: «بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا فإذا أكثر المغفلين مغترون بأنه باق من أجل ما روي في ذلك»[٧]، وابن الجوزي، حيث حكم على الأحاديث الواردة في حياته بالبطلان، وحيث ألف كتابًا مستقلاً في الموضوع أورد فيه أدلة دامغة على موته[٨] . والقاضي أبو يعلى[٩] ، حيث ذكر جملة من الأدلة على موته[١٠] ، والقاضي أبو بكر بن العربي[١١] ،[١٢] وأبو حيان الأندلسي[١٣] ، وشيخ الإسلام ابن تيمية، حيث

---

(١) انظر: «القرطبي» (١١/٤١).
(٢) انظر: «المنار المنيف» ص(٦٩، ٧٢).
(٣) «القرطبي» (١١/٤١)، و«الموضوعات» (١/ ٢٠٠)، و«المنار» ص(٦٧)، و«الزهر» ص(٣١، ٣٦)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٢١)، و«تفسير القاسمي» (١١/ ٧٦).
(٤) هو إبراهيم بن إسحاق بن بشير الحربي، أحد أئمة الحديث، سماه الذهبي شيخ الإسلام، ولد سنة (١٩٨هـ) وتوفي سنة (٢٨٥هـ). انظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٨ ـ ٤٠)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٥٨٤)، و«سير النبلاء» (١٣/ ٣٥٦).
(٥) «الموضوعات» (١/ ١٩٩)، و«المنار» ص(٦٧)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٢١).
(٦) «الزهر» ص(٣٢)، و«القاسمي» (١/ ٧٦).
(٧) «الزهر» ص(٣٨).
(٨) ذكره ابن كثير في «البداية» (١/ ٣٣٠).
(٩) هو محمد بن محمد بن الحسين أبو يعلى. فقيه، أصولي، محدث، تولى القضاء بالعراق أكثر من مرة. ولد سنة (٤٩٤هـ) وتوفي سنة (٥٦٠هـ). انظر: «شذرات الذهب» (٤/ ١٩)، و«معجم المؤلفين» (١١/ ٢٧٦).
(١٠) وساقها الألوسي في «الروح» (١٥/ ٣٢٠ ـ ٣٢١).
(١١) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد اللّه المعروف بابن العربي، إمام من أئمة الفقه والتاريخ، ولد بأشبيلية سنة (٤٦٨هـ) وتوفي سنة (٥٤٣هـ). انظر: «طبقات المالكية» ص(١٣٦).
(١٢) «تفسير القرطبي» (١١/ ٤١).
(١٣) «البحر المحيط» (٦/ ١٤٧).

قال: «والصـواب الذي عليـه محققـو العلمـاء أن إلياس والخضـر ماتا»[١] . وحيث ذكر ابن القيم أن ابن تيمية ألف جزءًا في وفاة الخضر[٢] ، وكذلك ابن القيم[٣] ، والحافظ ابن حجر، حيث استعرض أدلة الجانبين، ثم قال: والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقـده العوام من استمرار حـياتـه»[٤] . ومنهم العلامة محمـد الأمين الشنقيطي[٥]، وغيـر هـؤلاء مـن العلماء المحققين.

● **رابعًا**: أدلة القائلين بموت الخضر عليه الصلاة والسلام:

إن الأدلة الـقاضـية بموت الخـضر مـن الكثـرة بحـيث يصـعب عـدها وإحصاؤهـا، ولكن حسبنـا من ذلك ما تقوم بـه الحجة على كل بـاحث عن الحق، وعلى كل معـاند متتبع للشبهـات لكي يبني عليها مـا يوافق هواه من البدع والخرافات والعقائد الفاسدة. فنذكر منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ينقل ابن كثير عن ابن الجوزي قوله: «فالخضر إن كان بشرًا فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح»، ثم أردف ابن كثير قائلاً: «والأصل عـدمه حتى يثبت، ولم يذكـر ما فيه دليـل على

(١) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٩٧).
(٢) «أسماء مؤلفات ابن تيمية» ص(٢٢).
(٣) «المنار» ص(٦٧).
(٤) «الزهر النضر» ص(٨٢).
(٥) انظر: «أضواء البيان» (٤/ ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨).

التخصيص عن معصوم يجب قبوله»[١] .

قال الشنقيطي: فقوله ﴿لِبَشَرٍ﴾ نكرة في سياق النفي، فهي تعم كل بشر، فيلزم من ذلك نفي الخلد عن كل بشر من قبله، والخضر بشر من قبله، فلو كان شرب من عين الحياة وصار حيًّا خالدًا إلى يوم القيامة لكان اللَّه قد جعل لذلك البشر الذي هو الخضر من قبله الخلد»[٢] .

٢ ـ قوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم في آخر حياته: «**أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**»، متفق عليه من حديث ابن عمر[٣] .

ومعنى الحديث ـ كما فسره عبد اللَّه بن عمر ـ لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد. يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن.

وفي إحدى روايات مسلم عن جابر بن عبد اللَّه عن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أنه قال قبل أن يموت بشهر: «**ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ**»[٤] .

قال الألوسي: «وهذا أبعد من التأويل»[٥] .

ونقل ابن حجرعن ابن بطال[٦] قوله: «إنما أراد رسول اللَّه صلى اللَّه

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٣٣٤).

(٢) «أضواء البيان» (٤/ ١٦٤).

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم باب السمر في العلم (١/ ٥٨ ح١١٦)، ورواه مسلم في «فضائل الصحابة» (٤/ ١٩٦٥).

(٤) (٤/ ١٩٦٦).

(٥) «روح المعاني» (١٥/ ٣٢٠).

(٦) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي المالكي، محدث، فقيه، له «شرح الجامع الصحيح» للبخاري، توفي سنة (٤٤٩هـ). انظر: «معجم المؤلفين» (٧/ ٨٧).

عليه وآله وسلم أن هذه المدة تخترم الجيل الذي هم فيه»[١] .

ولما سئل البخاري عن الخضر وإلياس هل هما حيَّان؟ قال: «كيف يكون هذا وقد قال النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**أرأيتكم**...فذكره»[٢] .

وهو دليل صريح في أن الخضر لو كان موجودًا على الأرض حين قال ذلك النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لكان قد مات منذ وقت بعيد، وهذا يدل على بطلان دعاوى لقيا الخضر التي لا يزال يصدرها أنصار الفكر الصوفي من وقت لآخر. ولهذا قال القرطبي ـ مع كونه ممن يرجح حياة الخضر ـ: «إن الحديث مما يقضي بموت الخضر عليه السلام الآن»[٣] .

وقال في شرح الحديث: «قال علماؤنا: وحاصل ما تضمنه هذا الحديث أنه عليه الصلاة والسلام أخبر قبل موته بشهر أن كل من كان من بني آدم موجودًا في ذلك لا يزيد عمره على مائة سنة لقوله عليه الصلاة والسلام: «**ما من نفس منفوسة**»[٤] .

٣ ـ قوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم يوم بدر: «**اللَّهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**»[٥] .

قال ابن القيم: «سئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ فقال: لو كان الخضر حيًّا لوجب عليه أن يأتي النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ويجاهد بين يديه ويتعلم منه، وقد قال النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم يوم

(١) «الفتح» (١/ ٢٥٦).
(٢) «المنار المنيف» ص(٦٧)، و«الزهر» ص(٣٦)، و«روح المعاني» (١٥/ ٣٢٠).
(٣) «الجامع» (١١/ ٤١).
(٤) المصدر السابق (١١/ ٤٢).
(٥) سبق تخريجه.

بدر: «**اللَّهم إن تهلك**...فذكر الحديث» وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم فأين كان الخضر حينئذ؟»[١] .

ولا ريب أن عدم مجيئه إلى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لمبايعته والصلاة معه والانضمام إلى صفه في الجهاد لمن الأدلة القوية الدالة على موته. وعلى هذا يكون الخضر صاحب موسى مات؛ لأنه لو كان حيًّا للزمه المجيء إلى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم والإيمان به واتباعه[٢] . وقد قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم: «ما بعث اللَّه نبيًّا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث اللَّه محمدًا وهو حي ليؤمنن به وينصرنه»[٣] .

«فالخضر إن كان نبيًّا أو وليًّا فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حيًّا في زمن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه، يؤمن بما أنزله اللَّه عليه، وينصره أن يصل أحد من الأعداء إليه؛ لأنه إن كان وليًّا فالصديق أفضل منه، وإن كان نبيًّا فموسى أفضل منه»[٤] .

وقال ابن تيمية: «لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعته ومطاوعته[٥] ثم أورد الآية والأثر.

---

(١) «المنار المنيف» ص(٦٨)، وأورده في «روح المعاني» كذلك (١٥/ ٣٢٠).

(٢) «الزهر النضر» ص(٣٦).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٦٥).

(٤) «البداية» (١/ ٣٣٤).

(٥) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٢٣).

هذا وألف أبو الفرج بن الجوزي كتابًا مستقلاً في هذا المسألة سماه: «عجالة المنتظر في شرح حال الخضر» ذكره الحافظ ابن كثير ونقل منه في مواضع[١] .

ويبدو أن ابن القيم قد نقل منه أمهات الأدلة القاضية بموت الخضر، غير أنه لم يذكر الكتاب الذي نقل منه[٢] .

قال ابن الجوزي[٣] : «والدليل على أن الخضر ليس بباقٍ في الدنيا أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وإجماع المحققين من العلماء، والمعقول»[٤] . ثم قال: «أما الدليل من المعقول فمن عشرة أوجه[٥] . ثم ساقها ومنها:

● أن الذي أثبت حياته يقول: إنه ولد آدم لصلبه، وهذا فاسد لوجهين:

أحدهما: أن يكون عمره الآن ستة آلاف سنة. ومثل هذا بعيد في العادات أن يقع في حق البشر.

والثاني: أنه لو كان ولده لصلبه أو الرابع من ولد ولده ـ كما زعموا ـ وأنه كان وزير ذي القرنين، لكان مهول الخلقة مفرط الطول والعرض[٦] وفي

---

(١) انظر: «البداية» (١/ ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦).

(٢) إنما قلت ذلك؛ لأن تلك المنقولات لا توجد في مظانه من كتاب «الموضوعات» حيث ساق فيه (١/ ١٩٣ ـ ١٩٩) جملة من الأحاديث الموضوعة المتعلقة بالخضر ولم يذكر الوجوه التي نقلها ابن القيم.

(٣) «المنار المنيف» ص(٦٩ ـ ٧٦).

(٤) ثم ذكر من القرآن آية الأنبياء السابقة، ومن السنة: حديث: «أرأيتكم. .» ثم ذكر بعض المحققين كالبخاري وغيره.

(٥) أما صاحب كتاب «الخضر ـ نسبه ـ ونبوته ـ وتعميره» ص(٤٥) فقد عزا هذه الأوجه إلى ابن القيم. فيبدو أنه لم يتفطن إلى أنه ناقل عن أبي الفرج.

(٦) انظر: «روح المعاني» (١٥/ ٣٢١).

«الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**خلق الله آدم طوله ستون ذراعًا**... الحديث وفيه: «**فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن**»[1] وما ذكر أحد ممن[2] رأى الخضر أنه رآه على خلقة عظيمة، وهو من أقدم الناس.

- أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه في السفينة ولم ينقل هذا أحد.

- أنه قد اتفق العلماء أن نوحًا لما نزل من السفينة مات ومن كان معه، ثم مات نسلهم ولم يبق غير نسل نوح، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ**﴾ [الصافات: ٧٧]، وهذا يبطل قول من قال: إنه كان قبل نوح.

- إن هذا لو كان صحيحًا أن بشرًا من بني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر ومولده قبل نوح لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب، وكان خبره في القرآن مذكورًا في غير موضع؛ لأنه من أعظم آيات الربوبية، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى من أحياه ألف سنة إلا خمسين عامًا وجعله آية فكيف بمن أحياه إلى آخر الدهر، ولهذا قال بعض أهل العلم: «**ما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان**».

- إن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها: أنه رأى الخضر. فيالله العجب! هل للخضر علامة يعرفه بها من

---

(١) «البخاري»: الأنبياء - باب خلق آدم وذريته (٢/ ٤٥٠ ح ٣٣٢٦)، و«مسلم» الجنة - باب (١١) (٤/ ٢١٨٣ - ٢١٨٤).

(٢) الأولى أن يقال: ممن ادعى أنه رآه.

رآه؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله: أنا الخضر. ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من اللَّه. فأين للرائي أن المخبر له صادق لا يكذب؟.

قلت: هذه قاصمة ظهر لكل من يزعم أنه يلتقي به؛ لأنه لا يدري على وجه يقرب من اليقين أن من رآه هو الخضر، فكيف يجزم به؟

ذكر أبو حيان: «أن ابن دقيق العيد[1] كان يخبر عن شيخ له أنه رأى الخضر وحدثه، فقيل له: من أعلمه أنه الخضر ومن أين عرف ذلك؟ فسكت»[2].

● أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه وقال له: ﴿**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾ [الكهف: ٧٨] فكيف يرضى لنفسه بمفارقته لمثل موسى، ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم، ولا يعرفون من الشريعة شيئًا. فيا عجبًا له يفارق كليم اللَّه تعالى ويدور على صحبة الجهال ومن لا يعرف كيف يتوضأ، ولا كيف يصلي؟

● أن الأمة مجتمعة على أن الذي يقول: أنا الخضر، لو قال: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقول كذا وكذا لم يلتفت إلى قوله، ولم يحتج به في الدين. فكيف نصدق من قال إنه رأى الخضر فقال كيت وكيت؟

---

(١) علي بن محمد بن علي بن وهب القشيري المعروف بابن دقيق العيد، فقيه اشتغل بالقضاء فترة، ولد بقوص سنة (٦٥٧هـ) وتوفي بالقاهرة سنة (٧١٦هـ). انظر: «معجم المؤلفين» (٧/ ٢٢٤).

(٢) «البحر المحيط» (٦/ ١٤٧).

● أنه لو كان حيًّا لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل اللَّه، ومقامه في الصف ساعة، وحضوره الجمعة والجماعة، وتعليمه العلم أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات، وهل هذا إلا من أعظم الطعن فيه والعيب له.

هذا وقد ذكر الحافظ ابن حجر دليلين عدهما أقوى الأدلة على عدم بقائه:

الأول: «عدم مجيئه إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم.

الثاني: انفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعي»[١].

إذا تقرر كل ما سبق علمنا علمًا لا يتطرق إليه شك ولا ريب أن الخضر نبي من أنبياء اللَّه تعالى أوحى اللَّه إليه بأحكام خاصة لم يكن موسى عليه السلام على علم بها قبل تفسير أسبابها. وأنه مات منذ عهد بعيد، ودعوى مقابلته إما أن يكون كذبًا من المدعي، وإما أن يكون مما يلقيه الشيطان على ابن آدم ابتغاء تضليله وصرفه عن طاعة شريعة النبي المصطفى صلى اللَّه عليه وآله وسلم.

وأما خبر مقابلة عمر بن العزيز له فلا حجة فيه على حياته آلان لما يأتي:

١ ـ أنه ضعيف لعلتين:

الأولى: وجود محمد بن عبد العزيز الرملي في إسناده قال أبو حاتم[٢]:

---

(١) «الزهر النضر» ص(٨٢).

(٢) هو محمد بن إدريس بن المنذر المشهور بأبي حاتم الرازي، أحد الحفاظ، من أقران البخاري ومسلم. ولد في الري سنة (١٩٥هـ)، وتوفي سنة (٢٧٧هـ). انظر: «الأعلام» (٦/ ٢٧).

«كان عنده غرائب، ولم يكن عندهم بالمحمود، هو إلى الضعف ما هو»[١] .

وقال أبو زرعة[٢] : «ليس بالقوي»[٣] . وقال الفسوي[٤] : «حافظ»[٥] . وهو ليس توثيقًا له.

الثانية: وجود ضمرة بن ربيعة فيه. قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «وهذا الخبر ضعيف السند، تفرد به ضمرة، وهو معدود في جملة منكراته، فإنه ـ وإن كان ثقة ـ فقد أنكر عليه الإمام أحمد حديث: «**من ملك ذا رحم محرم فهو عتيق**» ورده ردًّا شديدًا، وقال: لو قال رجل: إن هذا كذب لما كان مخطئًا، وأخرجه الترمذي، وقال: لا يتابع ضمرة عليه وهو خطأ عند أهل الحديث[٦] . ثم إن في الحديث ما يدل على بطلانه، وهو حياة الخضر عليه السلام»[٧] .

٢ ـ أن هؤلاء المستدلين بهذا الخبر على حياة الخضر عامتهم من المتكلمين الذين يقولون: لا يحتج بحديث الآحاد في العقيدة وإن كان سنده من أصح الأسانيد. فكيف يحتجون بخبر ضعيف على أمر عظيم كاعتقاد حياة الخضر،

---

(١) «الجرح والتعديل» (٨/ ٨).

(٢) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد المعروف بأبي زرعة الرازي، محدث حافظ، ولد سنة (٢٠٠هـ)، وتوفي بالري سنة (٢٦٤هـ). انظر: «معجم المؤلفين» (٦/ ٢٣٩).

(٣) «الجرح والتعديل» (٨/ ٨)، و«المغني في الضعفاء» (ترجمة ٥٧٦٩)، و«الميزان» (ترجمة ٧٨٧٥).

(٤) هو يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، محدث، حافظ، ولد سنة (١٩١هـ). وتوفي سنة (٢٧٧هـ). انظر: «معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٤٨).

(٥) «المغني» و«الميزان» ـ الموضعان السابقان ـ. وقال ابن حجر: صدوق يهم «التقريب» (ترجمة ٦٠٩٣).

(٦) «جامع الترمذي» (٣/ ٦٣٨).

(٧) «تحقيق سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٢٢) الهامش.

حيث يترتب عليه أخذ العقائد والأحكام من كل من تلقاه يقول لك: أنا الخضر؟

٣ ـ أنه لو فرض ثبوته عن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه اللَّه ـ فإنه ليس هناك دليل قاطع بأنه الخضر، إذ يحتمل أن يكون من الجن؛ ذلك لأن عمر مع جلالته وعدالته فإنه ليس معصومًا من الخطأ، وليست هناك علامة يعرف بها الخضر سوى قوله له: أنا الخضر فيصدقه. والإنسان مهما عظم قدره ليس معصومًا من تلاعب الشيطان، إلا من ورد النص باستثنائهم من ذلك كعمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

ولهذا لما كتب سالم بن عبد اللَّه بن عمر إلى عمر بن العزيز بسيرة عمر ابن الخطاب في الصدقات، وعلق عليها بقوله: «إنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله، في مثل زمانك ورجالك كنت عند اللَّه خيرًا من عمر» تعقبه الحافظ الذهبي قائلاً: «هذا كلام عجيب. أنى يكون خيرًا من عمر؟ حاشا وكلاَّ، ولكن هذا القول محمول على المبالغة، وأين عز الدين بإسلام عمر؟ وأين شهوده بدرًا؟ وأين فرق الشيطان من عمر؟»[1].

فذكر من خصوصيات عمر بن الخطاب التي لم تتوفر لابن عبد العزيز خوف الشيطان منه.

ولذا أيضًا علق العلامة الشنقيطي على خبر التعزية الذي جاء فيه أن شيخًا لا يعرف أتى فعزى الصحابة في وفاة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ثم ولى، فقال بعضهم لبعض: تعرفون الرجل؟ فقال أبو بكر وعلي: نعم هو أخو رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم الخضر عليه السلام، علق عليه

---

(١) «سير النبلاء» (٥/ ١٢٧).

بقوله: «مردود من وجهين: ـ فذكر في الوجه الأول عدم ثبوت الخبر إسنادًا ـ ثم قال: الثاني: أنه على فرض أن حديث التعزية صحيح لا يلزم من ذلك عقلاً ولا شرعًا ولا عرفًا أن يكون ذلك المعزي هو الخضر، بل يجوز أن يكون غير الخضر من مؤمني الجن. وقولهم: كانوا يرون أنه الخضر ليس بحجة يجب الرجوع إليها لاحتمال أن يخطئوا في ظنهم»[١].

قلت: إذا لم يكن ظن أبي بكر وعليٍّ حجة، كان من باب أولى أن لا يكون ظن عمر بن عبد العزيز حجة.

ذكر شيخ الإسلام الصحابة فقال: «ولا كان فيهم من قال: إنه أتاه الخضر، فإن خضر موسى مات، كما بُيِّن هذا في غير هذا الموضع، والخضر الذي يأتي كثيرًا من الناس إنما هو جني تصور بصورة إنسي، أو إنسي كذاب، ولا يجوز أن يكون ملكًا مع قوله: أنا الخضر؛ فإن الملك لا يكذب، وإنما يكذب الجني والإنسي. وكان الصحابة أعلمَ من أن يروج عليهم هذا التلبيس»[٢].

٤ ـ أن الخبر لا يعارض حديث «**أرأيتكم ليلتكم هذه...**» لوجهين:

أ ـ أن هذا الخبر على ما فيه من الكلام لا ينهض لمعارضة حديث مخرج في «الصحيحين».

ب ـ أن هذا الخبر لو ثبتت القصة الواردة فيه فلا تعارض؛ لأن ذلك كان قبل تمام المائة، فيمكن أن يكون الخضر حيًّا حينئذ ثم مات قبل المائة، وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى هذا الوجه فقال: «وهذا لا يعارض الحديث الأول

---

(١) «أضواء البيان» (٤/١٦٣ ـ ١٦٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١/١٤٩).

في مائة سنة، فإن ذلك كان قبل المائة»[١].

قلت: لكن هذا التوجيه معلق بشرط لم يتحقق وهو صحة الخبر ولم يصح.

وقبل إقفال هذا المطلب هناك شبهة طالما أوردها بعض الصوفية على منتقديهم في قولهم بحياة الخضر وكونه لقي النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وهي قولهم: إن ابن حجر العسقلاني إمام في الحديث والفقه وله القدم الراسخة والمشاركة الفعالة في أكثر العلوم الإسلامية، وها هو ذا قد أورد ترجمة الخضر في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» وهذا يدل على أنه من الصحابة. وللدر على هذه الشبهة التي لا تنطلي إلا على المغفلين نقول:

أولاً: الذي يورد هذه الشبهة واحد من اثنين: إما جاهل مركب لا يدري ما منهج الحافظ في كتابه. وإما أن يكون على علم بذلك لكنه يسعى إلى استغفال خلق اللَّه وإضلالهم وصدهم عن الصراط المستقيم.

ثانيًا: إلى هؤلاء الخادعين والمخدوعين أسوق كلمة الحافظ ابن حجر في تبريره لإيراد الخضر بالذات في «الإصابة» يقول الحافظ:

«ثم لما التزمت في كتابي «الإصابة في تمييز الصحابة» أن أذكر كل من جاء في خبر من الأخبار أنه لقي النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لزم ذكري للخضر عليه السلام؛ لأنه من شرط «الإصابة» وإن لم يرد في خبر ثابت أنه من جملة الصحابة»[٢].

وبهذه العبارة ـ على وجازتها ـ يعلم أن مجرد ورود ترجمة الرجل في

---

(١) «الفتح» (٦/ ٥٠١).

(٢) «الزهر النضر» ص(١٧).

«الإصابة» ليس دليلاً على كونه من الصحابة»[١] .

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة «زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور» ما نصه:

«ومن قال إنه ـ أي الخضر نقيب الأولياء أو أنه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل.

والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجودًا في زمان النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب اللَّه ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرفع لهم سفينتهم، ولم يكن مختفيًا عن خير أمة أخرجت للناس وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم، ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة في دينهم ودنياهم، فإن دينهم أخذوه عن الرسول ﷺ النبي الأمي الذي علمهم الكتاب والحكمة، وقال لهم نبيهم: «**لو كان موسى حيًّا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم**»، وعيسى ابن مريم عليه السلام إذا نزل من السماء إنما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم فأيّ حاجة لهم مع هذا إلى الخضر وغيره والنبي ﷺ قد أخبرهم بنزول عيسى عليه السلام من السماء وحضوره مع المسلمين، وقال: «**كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى في آخرها**»، فإذا كان النبيان الكريمان اللذان هما مع إبراهيم وموسى ونوح أفضل الرسل ومحمد ﷺ سيد ولد آدم ولم يحتجبوا عن هذه الأمة لا عوامهم ولا خواصهم فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم؟ وإذا كان الخضر حيًّا

(١) «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» (١/ ٣٩٦ ـ ٤٠٨).

دائمًا فكيف لم يذكر النبي ﷺ ذلك فقط، ولا خلفاؤه الراشدون؟!!

وقول قائل إنه نقيب الأولياء، فيقال له: من ولاّه النقابة وأفضل الأولياء أصحاب محمد ﷺ وليس فيهم الخضر، وغاية ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجال مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر، وقال إنه الخضر، كما أن الرافضة ترى شخصًا تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم أو تدعي ذلك.

وروي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال وقد ذكر له الخضر: من أحالك على غائب فما أنصفك، وما ألقى هذا على ألسنة الناس إلا الشيطان» انتهى.

• قول الكعبي المعتزلي: «المقتول ليس بميت»:

كان أبو القاسم عبد اللَّه بن أحمد بن أحمد بن محمود البلخي، المعروف بالكعبي حاطب ليل.

قال عبد القاهر البغدادي: «زعم الكعبي أن المقتول ليس بميت، وعاند قول اللَّه تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وسائر الأمة مجمعون على أن كل مقتول ميت، وأنّى يصح مقتول غير ميت؟»(١).

• المقتول مقطوع أجله؟! هكذا تقول القدرية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن المقتول:

«ولو لم يُقتل المقتول، فقد قال بعض القدرية: إنه كان يعيش، وقال

---

(١) «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي ص(١٨٢).

بعض نفاة الأسباب: إنه يموت، وكلاهما خطأ؛ فإن اللَّه علم أنه يموت بالقتل، فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديرًا لما لا يكون لو كان كيف يكون، وهذا قد يعلمه بعض الناس وقد لا يعلمه.

فلو فرضنا أن اللَّه علم أنه لا يقتل أمكن أن يكون قدر موته في هذا الوقت، وأمكن أن يكون قدر حياته إلى وقت آخر، فالجزم بأحد هذين على التقدير الذي لا يكون جهل»(١) .

• المعمرية من القدرية المعتزلة يقولون: إن اللَّه لم يخلق الموت:

«كان معمر بن عبّاد السلمي رأسًا للملحدة، وذنبًا للقدرية. وفضائحه على الأعداد كثيرة الأمداد.

منها: أنه كان يقول: إن اللَّه تعالى لم يخلق شيئًا من الأعراض: من لون أو طعم أو رائحة أو حياة أو موت أو سمع أو بصر، وإنه لم يخلق شيئًا من صفات الأجسام، وهذا خلاف قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ [الرعد: ١٦]، وخلاف قوله تعالى في صفة نفسه: ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، وكان يزعم أن اللَّه إنما خلق الأجسام، ثم إن الأجسام أحدثت الأعراض باعتبار أن كل ما سبق من حياة وموت وسمع وبصر ولون وطعم ورائحة ما هو إلا عرض في الجسم من فعل الجسم بطبعه، وفناء الجسم عنده فعل الجسم بطبعه، وصلاح الزروع وفسادها من فعل الزروع عنده. وزعم أيضًا أن فناء كل فإنٍ فِعل له بطبعه.

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٨/ ٥١٧ ـ ٥١٨).

وزعم أنه ليس للَّه تعالى في الأعراض صنع ولا تقدير.

وفي قوله: إن اللَّه تعالى لم يخلق حياة ولا موتًا تكذيب منه لوصف اللَّه سبحانه نفسه بأنه يحيي ويميت، وكيف يُحيي ويُميت من لا يخلق حياةً ولا موتًا؟»[١].

• من فضائح الجاحظ: قوله باستحالة عدم الأجسام بعد حدوثها:

قال عبد القاهر البغدادي: عن الجاحظ: «عمرو بن بحر الجاحظ اغترّ أتباعه بحسن بيانه في كتبه التي لها ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول، ولو عرفوا جهالاته في ضلالاته لاستغفروا اللَّه تعالى من تسميتهم إياه إنسانًا، فضلاً عن أن ينسبوا إليه إحسانًا...

ومن فضائح الجاحظ: قوله باستحالة عَدَم الأجسام بعد حدوثها. وهذا يوجب القول بأن اللَّه سبحانه وتعالى يقدر على خَلْق شيء ولا يقدر على إفنائه، وأنه لا يصح بقاؤه بعد أن خلق الخلق منفردًا كما كان منفردًا قبل أن خلق الخلق»[٢].

• أكثر الكرّامية على بدعة أن اللَّه لا يقدر على إعدام جسم بحال:

قال عبد القاهر: «اختلفت الكرامية في جواز العدم على أجسام العالم، فأحال ذلك أكثرهم، وضاهَوْا بذلك مَن زعم من الدهرية والفلاسفة أن الفلك والكواكب طبيعة خامسة لا تقبل الفساد والفناء.

---

(١) «الفرق بين الفرق» ص(١٥١ ـ ١٥٢).
(٢) «الفرق بين الفرق» ص(١٧٥، ١٧٦).

وكان الناس يتعجبون من قول المعتزلة البصرية: «إن اللَّه تعالى يقدر على إفناء الأجسام كلها دفعة واحدة ولا يقدر على إفناء بعضها مع بقاء بعض منها»، وزال هذا التعجب بقول من زعم من الكرامية: إنه لا يقدر على إعدام جسم بحال»[(١)] .

● «وزعمت الكرّامية أنه لا يجوز في حكمة اللَّه اخترام الطفل الذي يعلم أنه إن أبقاه إلى زمان بلوغه آمن، ولا اخترام الكافر الذي لو أبقاه إلى مدة آمن، إلا أن يكون في اخترامه إياه قبل وقت إيمانه صلاح لغيره.

ويلزمهم على هذا القول أن يكون اللَّه تعالى إنما اخترم إبراهيم ابن النبي ﷺ قبل بلوغه؛ لأنه علم أنه لو أبقاه لم يؤمن، وفي هذا قدْح منهم في كل من مات من ذراري الأنبياء»[(٢)] .

«وأبدع ابن كرّام في الفقه حماقات لم يُسبق إليها.

منها: قوله بأن غسل الميت والصلاة عليه سنتان غير مفروضتين، وإنما الواجب كفنه ودفنه»[(٣)]

● قول السبئية أن عليًّا صعد في السماء كما صعد عيسى بن مريم:

غلا عبد اللَّه بن سبأ في علي رضي الله عنه وزعم أنه كان نبيًّا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله. ولما قُتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليًّا، وإنما كان شيطانًا تصور للناس في صورة علي، وأن عليًّا صعد إلى السماء كما

---

(١) «الفرق بين الفرق» ص(٢١٧، ٢١٨).

(٢) «الفرق بين الفرق» ص(٢٢١).

(٣) المصدر السابق ص(٢٢٤).

صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل عليّ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصًا مصلوبًا شبهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلاً يشبه عليًّا، فظنوا أنه علي، وعليٌّ قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه.

وزعم بعض السبئة أن عليًّا في السحاب وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

قال إسحاق بن سُويد العدوي:

برئت من الخوارج لستُ منهم ... من الغَزّال منهم وابن بابِ

ومن قومٍ إذا ذكروا عليًّا ... يردّون السلام على السحاب(١)

• زعم البزيغية من الخطابية أنهم لا يموتون:

زعم أبو الخطاب الأسدي المارق أن أئمة الشيعة أنبياء، ثم زعم أنهم آلهة، وأن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه.

وكان يقول إن جعفراً إله، فلما بلغ ذلك جعفرًا لعنه وطرده.

ومن الخطابية فرقة تسمى البزيغية أتباع بزيغ: زعموا أنهم لا يموتون، وأن الواحد منهم إذا بلغ النهاية في دينه رُفع إلى الملكوت.

وزعموا أنهم يَرَوْن المرفوعين منهم غدوة وعشية(٢).

---

(١) «الفرق بين الفرق» ص(٢٣٣ ـ ٢٣٤).

(٢) «الفرق بين الفرق» ص(٢٤٧، ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

* زَعْم أبي الهـذيل العلاّف وجود أفعال الجوارح مـن الفاعل بعد موته:

أبو الهُذَيْل محمد بن الهُذيل المعروف بالـعلاّف فضائحه تترى تُكَفِّره فيها سائر فرق الأمة من أصحابه في الاعتزال ومن غيرهم.

من فضـائحه: أنه فـرّق بين أفعال القـلوب وأفعال الجـوارح، فقال: لا يجوز وجود أفعال الـقلوب من الفاعل مع قدرته عليـها ولا مع موته، وأجاز وجود أفعال الجوارح من الفاعل منّا بعد موته، وبعدم قدرته إن كان حيًّا لم يمت، وزعم أن الميت والعاجز يجوز أن يكونـا فاعِلَيْن لأفعال الجوارح بالقدرة التي كانت موجودة قبل الموت والعجز.

● وزعم الجُبائي وابنه أبو هاشم أن أفعـال القلوب في هذا الباب كأفعال الجوارح في أنه يصح وجودها بعد فناء القدرة عليها ومع وجود العجز عنها.

وقول الجـبائـي وابنـه في هـذا الباب أشـرّ من قـول الهـذيل، غـير أن أبا الـهذيل سـبق إلى الـقول بإجازة كـون الميت والـعاجز فـاعلين لأفـعال الجوارح، ونسج الجبائي وابنه على منوالـه في هذه البدعة، وقاسا عليه إجازة كون العاجز فاعلاً لأفعال القلب، ومؤسس البدعة عليه وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة، من غير نقصان يدخل وزن العاملين بها»[(١)] .

* السالمية من المبتدعة يقولون: إن الأموات يأكلون:

قال الإمام الذهبي في «السير» حينـما تكلم عن الزبيدي شارح الإحياء: «وقيـل: كان يـذهب إلى مـذهب السـالميـة، ويقول: إن الأمـوات يأكـلون

(١) «الفرق بين الفرق» ص(١٢٨ ـ ١٢٩).

ويشربون وينكحون في قبورهم»[١] .

* الحلول والتناسخ:

القائلون بالتناسخ في دولة الإسلام صنفان:

● الرافضة الغالية من البيانية والجناحية والخطابية والراوندية والسبئية من الرافضة الحلولية، كلها قالت بتناسخ روح الإله في الأئمة بزعمهم.

● وأهل التناسخ من القدرية ومنهم: أحمد بن خابط، وأحمد بن أيوب ابن بانوش، وأحمد بن محمد القحطي، وعبد الكريم بن أبي العوجاء.

● ويزعم أحمد بن خابط أن الروح لا يزال في هذه الدنيا يتكرر في قوالب وصور مختلفة ما دامت طاعته مشوبة بذنوبه، وعلى قدر طاعاته وذنوبه يكون منازل قوالبه في الإنسانية والبهيمية[٢] .

● وتعتقد الإسماعيلية وفرق من الشيعة في أئمتهم بأنهم هم الذين ظهروا في مختلف الصور في الأزمنة المتعددة، والأمكنة المختلفة، وهم الذين ظهروا أيام آدم بصورة آدم، وفي دور نوح بنوح، وكذلك شيث وموسى وعيسى ومحمد صلوات اللَّه وسلامه عليهم في زمانهم، وأن أئمتهم هم الذين نجوا نوحًا، وأغرقوا الخلق في عهد نوح، وخرقوا السفينة، وقتلوا الغلام وغير ذلك.

فها هم يكذبون على عليّ رضي الله عنه أنه قال:

«أنا ومحمد نور واحد من نور اللَّه، أنا صاحب الرجفة، صاحب الآيات. أنا أهلكت القرون الأولى، وأنا النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون.

---

(١) «السير» (٢٠/٣١٩).

(٢) «الفرق بين الفرق» (٢٧٠ ـ ٢٧٦).

أنا الكتاب. أنا اللوح المحفوظ. أنا القرآن الحكيم. أنا محمد ومحمد أنا. إنَّ ميتنا لم يمت، وقتيلنا لم يقتل، ولا نلد ولا نولد. وأنا الذي نجيت نوحًا. ونطقت على لسان عيسى بن مريم في المهد، فآدم وشيث ونوح وسام وإبراهيم وإسماعيل وموسى ويوشع وعيسى وشمعون ومحمد وأنا كلنا واحد. أنا أحيي وأميت. وكذلك الأئمة المحقون من ولدي، لأنا كلنا شيء واحد يظهر في كل زمان»(١).

ورووا عنه أيضًا أنه قال لسلمان: «أنا أحيي الموتى، وأعلم ما في السماوات والأرض، وأنا الكتاب المبين، يا سلمان، محمد مقيم الحجة، وأنا حجة الحق على الخلق، وبذلك الروح عرج بي إلى السماء، أنا حملت نوحًا في السفينة، أنا صاحب يونس في بطن الحوت، وأنا الذي جاورت موسى في البحر، وأهلكت القرون الأولى، أعطيت علم الأنبياء والأوصياء، وفصل الخطاب، وبي تمت نبوة محمد، أنا أجريت الأنهار والبحار، وفجرت الأرض عيونًا، أنا باب الدنيا لوجهها، أنا عذاب يوم الظلمة، أنا الخضر معلم موسى، أنا معلم داود وسليمان، أنا ذو القرنين، أنا الذي دفعت سمكها بإذن اللَّه عز وجل، أنا دحوت أرضها، أنا عذاب يوم الظلمة، أنا النادي من مكان بعيد، أنا دابة الأرض، أنا كما يقول لي رسول اللَّه ﷺ: أنت يا علي ذو قرنيها، وكلا طرفيها، ولك الآخرة والأولى، يا سلمان إن ميتنا إذا مات لم يمت، ومقتولنا لم يقتل، وغائبنا إذا غاب لم يغب، ولا نلد ولا نولد في البطون، ولا يقاس بنا أحد من الناس، أنا تكلمت على لسان عيسى في

---

(١) «انظر: «زهر المعاني» لإدريس عماد الدين الباب السابع عشر ص(٧٤)، وما بعد من «المنتخب من بعض الكتاب الإسماعيلية» لايوانوف ط: أجمل بريس ـ بومبي.

المهد، أنـا نوح، أنا إبراهـيم، أنا صاحـب الناقة، أنـا صاحب الرجـفة، أنا صاحب الزلزلـة، أنا اللوح المحفوظ، إليّ انتـهى علم ما فيه، أنا أنـقلب في الصور كيف شاء اللّه، من رآهم فقـد رآني، ومن رآني فقد رآهم، ونحن في الحقيقة نور اللّه الذي لا يزول ولا يَتَغَيَّر»[١] .

ورووا عن جعفر بن الباقر أنه قال:

«أنا من نـور اللّه، نطـقت على لـسان عيسـى بن مريم في المـهد، فآدم وشيث ونوح وسـام وإبراهيم وإسماعيـل وموسى ويوشع وعيسـى وشمعون ومحمـد كلنا واحد، مـن رآنا فقد رآهـم. أنا أحيي وأميـت وأخلق وأرزق، وأبرئ الأكمة والأبرص، وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم بإذن ربي، وكذلك الأئمة المحقون من ولدي لأنا كلنا شيء واحد»[٢] .

وذكروا عن راشد الدين بن سنان السوري الداعي الإسماعيلي أنه قال:

«ظهرت بدور نوح فغرقت الخلائق. وظهرت في دور الخضر على ثلاث مقالات. خرقت السفينة، وقتلت الـغلام، وأقمت الجدار. ثم ظهرت بالسيد المسيح، فمسحت بيدي الكريمة عـن أولادي الذنوب، وكنت بالظاهر شمعون ـ إلى آخر الهفوات والخرافات ـ»[٣] .

فهذه الروايـات تدل صراحة على اعتـقاد القوم بالحلول والـتناسخ، وأن

---

(١) «مشارق أنوار اليقين» للحافظ رجـب البرسي ص(١٦١) ط. دار الأندلس بيروت، وأيضًا «طرائق الحـقائق» للـحاج معصـوم شيرازي (١/ ٧٧، ٧٨) ط. طهـران (١٣٣٩) هجري شمسي.

(٢) «كتـاب بيـت الدعـوة الإسلامـية» نـسخة خـطيـة ص(١٠) نقـلاً عن «تـاريخ الـدعوة الإسماعيلية» لمصطفى غالب الإسماعيلي ص(٨١، ٨٢).

(٣) «أجزاء عن الـعقائد الإسماعـيلية»، كتاب الـداعي إبراهيم تقـديم المستشرق الفـرنساوي كويارد. ط أسبيرين نيشنل بريس (١٧٨٤م).

أئمتهم خلقوا من نور اللَّه الذي لم يتغير ولم يتبدل، ولكن هذا النور كان يحل في أجسام مختلفة في أزمنة مختلفة، وكان يلبس ألبسة متنوعة متفرقة، فبذلك الجسد واللباس كان يسمّى بتلك الأسماء، فتارة بآدم، وتارة بنوح، وتارة بإبراهيم، وتارة بموسى، وتارة بعيسى، وتارة بمحمد، مع أن هذا النور كان بجوهره واحدًا.

فهذا عين ما قالته الصوفية حيث سمّوا ذلك النور الأزلي، والجوهر الأصلي الحقيقة المحمدية والصورة المحمدية. فهذه الحقيقة هي التي كانت تتجلى في أجسام مختلفة، وتنادى بذلك الاسم، فاختلفت أسماؤها حسب الزمان والأجساد، مع أنها كانت واحدة. كما يقول الجيلي:

«اعلم حفظك اللَّه أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس، فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد اللَّه، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان، فقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، ولست أعلم أنه النبي ﷺ ، وكنت أعلم أنه الشيخ، وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة، وسرّ هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة، فالأريب إذا رآه في الصور المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه، وإذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد، فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة، ثم لا يوقع ذلك الاسم إلا على الحقيقة المحمدية، ألا تراه ﷺ لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه قال الشبلي

لتلميذه: أشهد أني رسول اللَّه، وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه، فقال: أشهد أنك رسول اللَّه، وهذا أمر غير منكور، وهو كما يرى النائم فلانًا في صورة فلان. وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به في النوم، لكن بين النوم والكشف فرق، وهو أن الصورة التي يرى فيها محمدًا ﷺ في النوم ولا يوقع اسمها في اليقظة على الحقيقة المحمدية؛ لأن عالم المثال يقع التعبير فيه فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة في اليقظة، بخلاف الكشف فإنه إذا كشف لك عن الحقيقة أنها متجلية في صورة من صور الآدميين، فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية. ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد ﷺ، لما أعطاك الكشف أن محمدًا ﷺ متصور بتلك الصورة، فلا يجوز ذلك بعد شهود محمد ﷺ فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها به من قبل؛ ثم إياك أن تتوهم شيئًا في قولي من مذهب التناسخ، حاشا للَّه وحاشا رسول اللَّه ﷺ أن يكون ذلك مرادي، بل إن رسول اللَّه ﷺ له من التمكين في التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة، وقد جرت سنته ﷺ أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ليعلي شأنهم ويقيم ميلانهم، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم»[1].

وهذا ما قاله الدكتور أبو العلاء العفيفي معلقًا على الفص السابع والعشرين (فصّ حكمة فردية في كلمة محمدية) من فصوص ابن عربي، فقال:

«شاع من أوائل عهد الإسلام القول بأزلية محمد عليه السلام، أو بعبارة

---

(١) «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيليّ (٢/ ٧٤، ٧٥).

أدق بأزلية «النور المحــمدي». وهو قول ظهر بين الشيعــة أولاً ولم يلبث أهل السنة أن أخــذوا به، واستند الكل في دعــواهم إلى أحاديث يظهــر أن أكثرها موضوع. من ذلك أن النبي ﷺ قال: «أنــا أول الناس في الخلق»، ومنها: «أول ما خلق اللَّه نــوري»، ومنها: «كنت نـبـيًّـا وآدم بين الماء والطـين» وغير ذلك من الأحاديث التي استنتجوا منهــا أنه كان لمحمد عليه السلام وجود قبل وجود الخلق، وقبل وجوده الزماني في صورة النبي المرسل، وأن هذا الوجود قديم غير حادث، وعبروا عنه بالنور المحمدي. وقد أفاضت الشيعة في وصف هذا النور المحمدي، فقالوا: إنه ينتقل في الزمان من جيل إلى جيل، وأنه هو الذي ظهر بصورة آدم ونــوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنــبياء، ثم ظهر أخيرًا بصورة خاتم النـبيين محمد عليه السلام. وبهذا أرجعــوا جميع الأنبياء من آدم إلى محمــد، وكذلك ورثة محمد إلى أصل واحــد. وهو قول نجد له صدى في الغنوصيــة المسيحية. يقول الأب كليمنــت الأسكندري: «ليس في الوجود إلا نبي واحد وهو الإنسان الذي خلقه اللَّه على صورته، والذي يحل فيه روح القدس، والذي يظهر منذ الأزل في كل زمان بصورة جديدة».

نجد لكــل هذا الكلام نـظيرًا في كـتب ابن عربي فـيما يســمية الكــلمة المحمديــة أو الحقيقــة المحمدية أو الــنور المحمدي. فــهو لا يقصــد بالكلـمة المحمدية في هــذا الفص محمدًا الرسول، وإنمــا يقصد الحقيقة المحــمدية التي يعتبرها أكمل مجلىً خلقيٍ ظهر فيه الحق، بل يعتبره الإنسان الكامل والخليفة الكامل بأخــص معانيه. وإذا كان كل واحد من المــوجودات مجلىً خــاصًّــا لبعض الأسماء الإلهــية التي هي أرباب له، فإن محمدًا قد انــفرد بأنه مجلى للاسم الجامــع لجميع تلك الأســماء، وهو الاسم الأعظم الــذي هو «اللَّه». ولهذا كانت لــه مرتبة الجمعية المطلــقة، ومرتبة التعين الأول الذي تــعينت به

الذات الأحدية، إذ ليس فوقه إلا هذه الذات المنزهة في نفسها عن كل تعين وكل صفة واسم ورسم.

ولهذه الحقيقة المحمدية التي هي أول التعينات ـ وإن شئت فقل أول المخلوقات ـ وظائف أخرى ينسبها إليها ابن عربي. فهي من ناحية صلتها بالعالم مبدأ خلق العالم، إذ هي النور الذي خلقه اللَّه قبل كل شيء وخلق منه كل شيء. أو هي العقل الإلهي الذي تجلى الحق فيه لنفسه في حالة الأحدية المطلقة، فكان هذا التجلي بمثابة أول مرحلة من مراحل التنزل الإلهي في صور الوجود. فلما انكشفت له حقيقة ذاته وكمالاتها، وما فيها من أعيان الممكنات التي لا تحصى، أحب إظهار كمالاته في صور تكون له بمثابة المرايا التي يرى فيها نفسه، فكانت أعيان الممكنات الخارجية تلك المرايا.

ومن ناحية صلة المحمدية بالإنسان، يعتبرها ابن عربي صورة كاملة للإنسان الكامل الذي يجمع في نفسه جميع حقائق الوجود، ولذلك يسميها آدم الحقيقي، والحقيقة الإنسانية. وبعدها من الناحية الصوفية مصدر العلم الباطن، ومنبعه، وقطب الأقطاب.

في هذا الوصف الإجمالي لما يسميه ابن عربي «الكلمة المحمدية»، أو الحقيقة المحمدية، عناصر مختلفة مستمدة من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والفلسفة المسيحية واليهودية، مضافًا إلى ذلك بعض أفكار من مذهب الإسماعيلية الباطنية والقرامطة. مزج جميع تلك العناصر على طريقته الخاصة، فضيع بذلك معالم الأصول التي أخذ عنها، وخرج على العالم بنظرية في طبيعة الحقيقة المحمدية، لا تقل في خطرها وأهميتها في تاريخ الأديان عن النظريات التي وضعها المسيحيون في طبيعة المسيح، أو النظريات

اليهودية أو الرواقية، أو اليونانية التي تأثرت بها النظرية المسيحية»[١] .

وبمثل ذلك قال الفرغاني:

«وكل نبي من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ مظهر من مظاهر نبوة الروح الأعظم. فنبوته ذاتية دائمة، ونبوة المظاهر عرضية منصرمة، إلا نبوة محمد ﷺ، فإنها دائمة غير منصرمة، إذ حقيقته الروح الأعظم، وصورته صورة الحقيقة التي ظهر فيها بجميع أسمائها وصفاتها. وسائر الأنبياء مظاهرها ببعض الأسماء والصفات، تجلت في المظهر المحمدي بذاتها وجميع صفاتها، وختم به النبوة، فكان الرسول ﷺ سابقًا على جميع الأنبياء من حيث الحقيقة، متأخرًا عنهم من حيث الصورة، كما قال: نحن الآخرون السابقون، وقال: كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين: وفي رواية أخرى: بين الروح والجسد: أي لا روحًا ولا جسدًا»[٢] .

ويدل أيضًا على اعتقاد الصوفية بالتناسخ ما ذكره الدباغ في «الإبريز»: بأن روح الوليّ تقدر على أن تخرج من ذات الولي وتتصور بصورة غير صورته[٣] .

وأيضًا ما ذكره الشعراني عن صوفي أنه «ظهر لأعدائه في هيئة أسد عظيم»[٤] .

---

(١) «فصوص الحكم» لابن عربي ـ قسم التعليقات الثاني ص(٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١).

(٢) «المقدمات» للفرغاني مخطوط ورقة (١١ ـ ١٤) نقلاً عن كتاب «ختم الأنبياء» ص(٤٨٦) ط بيروت.

(٣) انظر: «الإبريز» للدباغ ص(٢٠٤).

(٤) انظر: «طبقات الشعراني» (٢/ ٣).

وكذلك ذكر المنوفي في جمهرته صوفيًّا «كان يظهر في مظهر السباع والفيلة»(١) .

فالحاصل أن الصوفية اقتبسوا من الشيعة هذه الأفكار، وأخذوا منهم هذه العقائد الزائفة الزائغة الباطلة، وقالوا عن أوليائهم مثل ذلك، بل زادوا عليهم في غلوائهم وغيّهم وضلالهم، حيث قالوا نقلاً عن إبراهيم الدسوقي أنه قال عن نفسه في أبياته:

أنا ذلك القطب المبارك أمره ... فإن مدار الكل من حول ذروتي
أنا شمس إشراق العقول ولم أفل ... ولا غبت إلا عن قلوب عمية
يروني في المرآة وهي صدية ... وليس يروني بالمرآة الصقيلة
وبي قامت الأنباء في كل أمة ... بمختلف الآراء والكل أمتي
ولا جامع إلا ولي فيه منبر ... وفي حضرة المختار فزت ببغيتي
بذاتي تقوم الذات في كل ذروة ... أجدد فيها حلة بعد حلة
فليلى وهند والرباب وزينب ... وعلوى وسلمى بعدها وبثينة
عبارات أسماء بغير حقيقة ... وما لوّحوا بالقصد إلا لصورتي
نعم نشأتي في الحب من قبل آدم ... وسري في الأكوان من قبل نشأتي
أنا كنت في العلياء مع نور أحمد ... على الدرة البيضاء في خلويتي
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه ... بلطف عنايات وعين حقيقة
أنا كنت مع إدريس لما أتى العلا ... وأسكن في الفردوس أنعم بقعة
أنا كنت مع عيسى على المهد ناطقًا ... وأعطيت داودًا حلاوة نغمة
أنا كنت مع نوح بما شهد الورى ... بحارًا وطوفانًا على كف قدرة

---

(١) انظر: «جمهرة الأولياء» للمنوفي الحسيني (٢/ ٢٦٤).

أنا القطب شيخ الوقت في كل حالة   أنا العبد إبراهيم شيخ الطريقة(١)

ورووا عن أحد المتصوفة البارزين أنه كان يقول:

«أنا موسى الكليم في مناجاته، أنا عليّ في حملاته، أنا كل وليّ في الأرض خلقته بيدي، ألبس منهم من شئت، أنا في السماء شاهدت ربي، وعلى الكرسي خاطبته، أنا بيدي أبواب النار إن أغلقتها أغلقها بيدي، وبيدي جنة الفردوس إن فتحتها أفتحها، ومن زارني أدخلته جنة الفردوس»(٢) .

وقال فتح اللَّه بوراس:

«أنا كلّ ولي في الأرض قد أوليته   أنا كل حكيم من أهل السماء قد علمته

وأيوب من جميع الأمراض قد أشفيته   وبصر يعقوب أنا الذي قد رددته

وابنه يوسف من الجبّ الغريق قد أظهرته   ويونس من بطن الحوت بالعراء قد نبذته

ونوح من بحر الطوفان أنا الذي أنجيته   وفي السماء السابعة شاهدت ربّي وكلّمته

وبيدي باب الجنان قد فتحته ودخلته   وما فيه من الحور العين قد رأيته وحصيته

---

(١) «طبقات الشعراني» (١/ ١٨٠، ١٨١).

(٢) «طبقات الشعراني» (١/ ١٨٠)، وأيضًا «النفحة العلية في أوراد الشاذلية» جمع عبد القادر زكي ص(٢٥٦). ط: مكتبة المتنبي القاهرة.

ومن رآني ورأى من رآني وحضر مجلسي

في جنة عدن وبستانها قد أسكنته»[١]

وذكر فريد الدين العطار عن أبي يزيد البسطامي أنه سئل عن العرش والكرسي فقال: «أنا العرش والكرسي، وقال: أنا إبراهيم، وأنا موسى، وأنا محمد»[٢] . وهذا عين ما رواه الشيعة أنفسهم عن علي رضي الله عنه أنه قال:

«أنا اللوح، وأنا القلم، وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا السماوات السبع، وأنا السماوات الحسنى، والكلمات العليا»[٣] .

والجدير بالذكر أن الصوفية ينقلون لبيان معتقداتهم نفس الروايات الموضوعة المكذوبة التي يرويها الشيعة عن عليّ رضي الله عنه وأولاده.

فمثلاً يروي الشعراني ومحمد الرفاعي وغيرهما عنه رضي الله عنه أنه كان يقول في خطبته على رؤوس الأشهاد:

«أنا نقطة بسم اللّه، أنا جنب اللّه، الذي فرطتم فيه، أنا القلم وأنا اللوح المحفوظ، وأنا العرش وأنا الكرسي، وأنا السماوات السبع والأرضون»[٤] ا.هـ[٥] .

«ولقد ذكر المفضل بن عمر الجعفي في كتابه «الهفت الشريف» عن جعفر ابن الباقر أنه قال:

---

(١) «الوصية الكبرى» لعبد السلام الفيتوري ص(٧٤، ٧٥). ط: طرابلس ليبيا (١٣٩٦هـ).

(٢) انظر: «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار ص(٩٩). ط: باكستان.

(٣) «مشارق أنوار اليقين» للحافظ رجب البرسي ص(١٥٩). ط: دار الأندلس بيروت الطبعة الحادية عشر.

(٤) «الجواهر والدرر» للشعراني (٢/ ٣١١) بهامش «الإبريز» للدباغ. ط: مصر.

(٥) «التصوف المنشأ والمصادر» لإحسان إلهي ظهير ص(٢٢٣ ـ ٢٣٠).

«إن اللَّـه خلق للـعصاة سـبعة أبدان يـترددون فيـها، ثم يـنقلبـون إلى غيرها»[١] .

ويروي المفضل هذا عن جعفر أيضًا أنه قال له:

«إنه ليلقاك الـرجل في بدنه وأنت تظن أنه آدمي، وإنمـا هو قرد أو كلب أو خنزير أو دُبّ فاشتبه ذلك عن الناس»[٢] .

وروى أيضًا عنه أنه قال:

«وقوله تعالى أيضًا: ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَآئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم** ﴾. قال العالم: يعني أن كـل دابة في الأرض وفي السماء قد كانت أمم قبـلكم. ثم قال: إن عدونا لـيمسخ في كل شيء خـالف الصورة الإنسانية حتـى إذا عاد أحدهم يقتل ألف قتلة ويذبـح ألف ذبحة ويموت ألف ميتة. وأما أولياء اللَّه وأتباعهم المؤمنون خلصهم اللَّه من المسوخية وجعل ذلك عقوبة لاعدائهـم إن ذلك هو العذاب الأدنى. وأمّا العذاب الأكبـر فعند قيام القائم حتى ينتقم كل ولي من الأعداء. قال العالم: أول ما ينكس إليه الكافر إنما يصير في الأنعام حتى يمر بكل شيء في البر من العذاب، ثم يصير أنه يمر في البحر، ثم في الجو والهواء، حتـى في كل شيء يدب ويدرج حتى يصير أضيق من سم الخياط، لقوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴾. فهذه علة أرواح الكافرين تجعـل في المركبات إلى قيام القائم. وقـال العالم: وأمّا الذي لم يكن فيه روح الحياة مثل الحجر والشجر والماء والملح وغيره مما لا يدب ولا يدرج ومما يـتحلل من أبدان المـؤمن والكافر، فـكل شيء رأيته أو سمـعته أو

(١) «الهفت الشريف» للمفضل الجعفي ص(٢٦). ط: دار الأندلس الطبعة الثالثة (١٩٨٠م).
(٢) أيضًا ص(٣٦).

شممته وله طعم طيب ورائحة زكية أو ملامسة لينة أو مطعم أو مشرب، فإن ذلك مما يتحلل من أبدان المؤمنين وكلما خالف هذه الأشياء إلى غيرها من نتن أو مر أو كريه أو مما يكرهه الإنسان في شمه أو في منظره أو في ذوقه أو في ملامسته في جميع الحالات، فإن ذلك مما يتحلل من أبدان الكافرين وليس للكافرين أظهر ولا هم فيه أنعم من بدن الإنسانية الذي هو فيها، فإذا استوفى دولته أخرجه من بدنه هذا إلى أنجس الأبدان وأشرها»[1] .

وقال إخوان الصفاء:

«من استراح من المعاد والترداد... صار في جملة الملائكة المقربين»[2] .

والمفسر الإسماعيلي أيضًا يذكر هذا التناسخ في تفسيره كثيرًا مثل ما يقول تحت قوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ :

«يعني: في ظهورهم في النسوخية في الكرات»[3] .

وأيضًا: «عذاب اللَّه، وهو تدحرجهم في القوالب»[4] .

وأيضًا يقول:

«لجهنم سبعة أبواب: معناه سبع دركات، الدرك الأول هم الزنج والبربر، والدرك الثاني يسمى العكس في قصص القردة والنسناس، والثالث في قصص السباع»[5] .

---

(١) أيضًا ص(٦٦، ٦٧).
(٢) «جامعة الجامعة» لإخوان الصفاء ص(١٨٢) تحقيق عارف تامر.
(٣) تفسير «مزاج التسنيم» لضياء الدين الإسماعيلي ص(١٣) تحقيق شتروطمان ط غونتيغن.
(٤) أيضًا ص(٨٠).
(٥) أيضًا ص(١٠٩).

وقال:

«فأولئك الذين لهم سوء العذاب: يعني في القوالب الممسوخة»[١] .

ويقول الإسماعيلي محمود شبستري:

وقد سألوا وقالوا ما النهاية فقيل: هي الرجوع إلى البداية»[٢]

وأخيراً نذكر ما قالوا:

«إن جميع الأئمة يصيرون ذاتًا واحدة (أي: عند الرجعة)، وكل منهم قادر على الانفصال»[٣، ٤] .

وبناء على هذا يقول هؤلاء الزنادقة أن يوم ظهور القائم (المهدي) هو يوم التناد ويوم التلاق ويوم الآزفة وهو يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا.

* إدعاء الصوفية القدرة على إحياء الموتى:

ومن نصوصهم في ذلك ما صرح به الدباغ من أن الأولياء لهم القدرة على «إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى»[٥] .

وما ساقه القشيري بإسناده أن سهل بن عبد اللَّه تكلم يومًا في الذكر فقال: «إن الذاكر للَّه على الحقيقة لو هم أن يحيي الموتى لفعل»[٦] .

ويرى التيجاني أن الولي بعد الفتح يقدر أن يفعل ما يريد في كل ما أراد: فيحيي الموتي إذا شاء ويناديها فتجيبه مسرعة ولو كانت رميمة[٧] . وفي

---

(١) (٣٢٦).

(٢) «بعض ازتاويلات كلشن» راز لمحمود شبستري ص(١٣٩) من «سه رسالة إسماعيلي»؟.

(٣) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» ص(٤٩) من أربعة كتب إسماعيلية.

(٤) «الإسماعيلية» لإحسان إلهي ظهير ص(٤٣٩ ـ ٤٤١).

(٥) «الإبريز» ص(١٩٣).

(٦) «الرسالة» (٢/ ٧٠٠).

(٧) «جواهر المعاني» (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١).

حديث دار بين الشعراني وشيخه ذكر الخواص إحياء المسيح عليه السلام للموتى، فقال له الشعراني:

«... ليس في إحيائه الموتى تخصيص، فإن غيره من هذه الأمة وغيرها أحيا الموتى. فأجاب الخواص بأن الكامل من أحيا الموتى بالقول والجس، أما أمثال أبي يزيد البسطامي الذي كان لا يحيي الموتى إلا بالجس فليس له من الإرث المسيحي إلا قدر النصف[١].

ويحكي الشعراني في ترجمة محمد الشويمي[٢] أن شيخه السيد مدين[٣] مرض مرضًا شديدًا أشرف فيه على الموت، فوهبه الشويمي من عمره عشر سنين ثم مات الشيخ في غيبة الشويمي فجاء وهو على المغتسل فقال: كيف مت؟ وعزة ربي لو كنت حاضرك ما خليتك تموت»[٤].

ويذكر أيضًا أن الشيخ إبراهيم المتبولي رأى يومًا شخصًا كثير العبادة، والأعمال الصالحة، غير أن الناس اعتادوا أن يعرضوا عنه ولا يعتقدوه، فسأله المتبولي: «يا ولدي ما لي أراك كثير العبادة ناقص الدرجة؟ لعل والدك غير راض عنك؟ فقال: نعم. فقال: اذهب بنا إلى قبره لعله يرضى. قال الشيخ الراوي: فوالله لقد رأيت والده خرج من القبر ينفض التراب عن رأسه حين ناداه الشيخ، فلما استوى قائمًا قال الشيخ: الفقراء جاءوا شافعين تطيب

---

(١) «الجواهر والدرر» ص(١٣٠ - ١٣١).

(٢) هو الشيخ محمد الشويمي المجذوب، صوفي من أصحاب أبي مدين - كان حيًّا سنة (٥٩٤هـ). انظر: «الطبقات الكبرى» (٢/ ٩١).

(٣) هو أبو مدين شعيب بن الحسن المغربي الأندلسي، صوفي كبير لقي الجيلاني، وكان ابن عربي يثني عليه. توفي بتلمسان سنة (٥٩٤هـ)، انظر: «سير النبلاء» (٢/ ٢١٩)، و«طبقات المالكية» ص(١٦٤).

(٤) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٩١).

خاطرك على ولدك هذا. فقال: أشهدكم أني قد رضيت عنه»[١] .

وأما ابن ضيف الله فقد عقد في ترجمة حسن ولد حسونة فصلاً في إحياء الموتى وإبرائه ذوي العاهات والآفات[٢] . جاء فيه:

أ ـ جاءت أم رقيمة إلى الشيخ، وقالت له: يا سيدي بنتي ماتت، وأبوها لا مال له، كفنها لي. فمشى الشيخ إليها فلما رآها قال لها: بنتك طيبة ما ماتت، ثم قال للبنت: قومي فامتلأت روحها وعادت إليها الحياة من جديد وقامت[٣] .

قلت: لولا هذه العبارة الأخيرة لقلنا باحتمال أن البنت لم تكن فارقت الحياة بالفعل، فكان يمكن أن تكون في غيبوبة من شدة مرضها فاستعجلت أمها فراحت تحمل خبر موتها إلى الشيخ الذي سرعان ما علم بحنكته وخبرته أنها لا زالت على قيد الحياة. ولعل دفع هذا الاحتمال هو الذي حمل الراوي على التصريح بأن قول الشيخ لها: قومي هو الذي ملأ روحها وأعاد إليها الحياة من جديد.

ب ـ عفيشة ولد أبكر غرق في البحر ومكث فيه ثلاثة أيام وقضى نحبه. فقالوا للشيخ: صل على حواريك. فلما رآه قال له: قم فقام فامتلأت روحه وتزوج بعد ذلك وولد له[٤] .

جـ ـ جاء رجل مسافر للحج وترك عند الشيخ جاريته أمانة، فبعث بها

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٧٦).
(٢) «الطبقات» ص(١٣٣).
(٣) المصدر السابق ص(١٤٣).
(٤) «الطبقات» ص(١٤٣).

لإحدى النساء، وبعد وقت أرسلت المرأة تخبر الشيخ بموت الجارية، فأعطاها الكفن فكفنت ودفنت، ثم قدم سيدها من الحج وطلبها، فأرسل الشيخ إلى المرأة يطالبها بإحضار الجارية. فقالت له: ماتت. وأنت جئت وكفنتها ودفنتها. فقال الشيخ: امشوا ائتوني بها، فذهبوا فنبشوها فوجدوها حية[١].

ويشير صاحب الطبقات إلى أن هذا الشيخ كان يترك رأسه دائمًا مكشوفًا؛ لأنه كان إذا وضع القناع على رأسه فمتى قال للميت: قم يقوم فورًا[٢].

هكذا ترى أن إحياء أولياء الصوفية للموتى من الأمور المسلمة عند هؤلاء القوم. ولا تحسبن ـ بواقع الأمثلة السابقة ـ أن هذا الإحياء خاص بالموتى من بني آدم فإنا نسوق إليك أمثلة من إحيائهم للحيوان والطير بل والنبات. ومن ذلك ما ساقه القشيري بإسناده أن أعرابيًّا كان يسوق جملاً فوقع الجمل ميتًا، فدعا بدعاء خاص فقام الجمل من حينه[٣].

وما ساقه أيضًا بإسناده عن ابن أبي عبيد البسري، عن أبيه أنه غزا سنة من السنين، فخرج في سرية فمات المهر الذي كان تحته فقال: يا رب أعرناه حتى نرجع إلى بسرى (يعني: قريته) فإذا المهر قائم[٤].

وبإسناده عن أبي سبرة النخعي أن رجلاً أقبل من اليمن على حمار فلما كان في الطريق مات حماره فدعا له فقام الحمار ينفض أذنيه[٥].

---

(١) المصدر السابق ص(١٤٤).

(٢) المصدر السابق ص(١٤٤).

(٣) «الرسالة القشيرية» (٢/ ٧٠٩).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٧٠٩).

(٥) «الرسالة» (٢/ ٧١٠ ـ ٧١١).

ويحكي النبهاني(١) في ترجمة عبد الرحمن بن أحمد الجامي(٢) أنه جلس في زمن الربيع على شاطئ نهر ملآن، وإذا بقنفذة ميتة قد أقبلت على وجه الماء، فأخذها الجامي ومسح بيده ظهرها، فظهر أثر الحياة فيها، ثم لما توجه جهة المدينة أقبلت تسعى خلفه(٣) .

ومنه: ما حكاه الخزرجي أن الشيخ مفرج القصباني أحضروا له فراخًا مشوية، فرماها في الهواء وقال لها: طيروا، فطاروا(٤) .

وحكى الشعراني أن الشيخ عبد العزيز الديريني(٥) استضاف الشيخ عليًا المليجي(٦) فذبح له فرخة، فتشوشت امرأته عليها ـ لعلها لصغرها ـ فلما حضرت قال لها الشيخ علي: هش. فقامت الفرخة تجري، وقال: يكفينا المرق لا تتشوشي(٧) .

أما إحياء النبات اليابس فيذكر التيجاني أن الولي المفتوح عليه لا يورق

---

(١) هو يوسف بن إسماعيل النبهاني، صوفي غال، ولد بفلسطين سنة (١٢٦٥هـ) ثم رحل إلى مصر وانتسب إلى الأزهر، تولى القضاء في عدة أقاليم. مات سنة (١٣٥٠هـ) له مؤلفات كثيرة أخطرها «جامع كرامات الأولياء». انظر: «معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٧٥).

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد الجامي ولد بجام (قرية بخراسان) سنة (٨١٧هـ) صوفي مشارك في بعض العلوم، توفي بهراة سنة (٨٩٨هـ). انظر: «شذرات الذهب» (٧/ ٣٦٠)، و«البدر الطالع» (١/ ٣٢٧).

(٣) «جامع كرامات الأولياء» (٢/ ١٥٤).

(٤) «سير الأولياء» ص(٩٦).

(٥) هو عبد العزيز الديريني، صوفي ناظم، يذكر له خوارق وشطحات، مات بديرين سنة (٦٩٧هـ). انظر: ط.ك (١/ ١٧٢).

(٦) هو علي المليجي، صوفي كان البدوي يبجله ويأمر أتباعه بذلك، لم يحدد الشعراني تاريخ وفاته. انظر: ط.ك(١/ ١٧١).

(٧) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٧٢).

الشجرة اليابسة فحسب ولكنه يثمرها في الحين إذا شاء[1] .

ويقص أبو العباس المرسي[2] أنه صحب أقوامًا ما يمر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير إليها إلا وتثمر رمانًا للوقت، ويقول من صحب هؤلاء الرجال ما يصنع بالكيمياء[3] .

ولا ريب أن هذا الذي سقناه قليل من كثير؛ لأنه قلما يوجد كتاب من كتب التراجم وطبقات الصوفية إلا وهو زاخر ببيان قدرات الأولياء على إحياء الموتى من الناس وغيرهم.

ولا ريب ـ أيضًا ـ أن ذلك مناقض للنصوص الشرعية القاضية بأن إحياء الموتى من خصائص الربوبية التي لا دخل للبشر فيها ولا يد.

قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الحج: ٦].

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الروم: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ **فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الشورى: ٩].

وقال: ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ** ﴾ [الحجر: ٢٣].

بمقتضى هذه النصوص فمن زعم أن أحدًا من المخلوقين يملك إحياء الموتى، وأنه يباشر ذلك متى ما شاء على غرار ما مر معنا، فقد جعله إلهًا آخر شارك الإله الحق في أخص خصائصه.

---

(١) «جواهر المعاني» (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١).
(٢) سبقت ترجمته في (١/ ٧٣).
(٣) «الرماح» (١/ ٢٢).

وفي حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام**» متفق عليه[١] .وفي رواية عائشة ﵂ عند البخاري: «**قلت**: وما السام؟ قال: «**الموت**». وفي رواية أخرى لأبي هريرة ﷺ عند مسلم: «**ما من داء إلا في الحبة السوداء منه شفاء إلا السام**»[١] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إن اللَّه لم ينزل داء ـ أو لم يخلق داء ـ إلا أنزل ـ أو خلق ـ له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام**». قالوا: يا رسول اللَّه وما السام؟ قال: «**الموت**» رواه الحاكم[٢] .

فهذه النصوص صريحة في أن الموت لا علاج ولا دافع له إذا جاء، وأما هؤلاء المتصوفة فكما ادعوا أنهم يشفون المرضى من كل داء فقد عاندوا هذه النصوص، وقالوا: إن للموت دواء وإنه بأيديهم.

ولا يعترض على ما قررنا هنا بأن المسيح عليه السلام أحيا الموتى فيجوز للأولياء أن يفعلوا ذلك توارثًا كما ذهب إليه الخواص حيث قال: «ما أحيا الموتى من أحياهم إلا بقدر ما ورثه من عيسى عليه السلام»[٣] .

● وذلك لما يأتي:

١ ـ أن المسيح عليه السلام قال كما حكاه اللَّه تعالى: ﴿**وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ**

---

(١) البخاري: في الطب ـ باب الحبة السوداء (٤/ ٣٤ ح ٥٦٨٧، ٥٦٨٨)، ومسلم: في السلام ـ باب التداوي بالحبة السوداء (٤/ ١٧٣٥).

(٢) «المستدرك» (٤/ ٤٠١)، وفي إسناده شبيب بن شيبة، وهو صدوق يهم كما قال الحافظ في «التقريب» رقم (٢٧٤٠) غير أن الألباني حسنه بشواهده الكثيرة «غاية المرام» رقم (٢٩٢).

(٣) «الجواهر والدرر» ص(١٣٠ ـ ١٣١).

﴿**وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٤٩]. فلم يكن عليه السلام ليسند إلى نفسه إحياء الموتى إلا مقيدًا بالإذن من اللَّه؛ لأنه خارق عظيم يتوهم منه ألوهية فاعله لكونه ليس من جنس أفعال البشر.

قال الألوسي: «وكان إذا أحيا الميت يكلمه، ثم يموت سريعًا، أي على قدر ما تقوم به الحجة»[1].

فظهر بذلك القيد براءته عليه السلام من دعوى الاستقلال والقدرة الذاتية على التصرف في هذا الأمر الخطير، ولذا كان كثيرًا ما يبرأ إلى اللَّه من كل حول وقوة وقدرة على تلك الخوارق على وجه الاستقلال، فكان من دعائه عليه السلام: «**اللَّهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري، وأصبحت مرتهنًا بعملي، فلا فقير أفقر مني، اللَّهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تسلط علي من لا يرحمني**»[2].

والفرق واضح بين من هذا حاله وبين من يزعم أن له قدرة ثابتة وقوة لازمة على فعل كل ما يريد إلى حد القول بأن أحدهم كان يكشف رأسه دائمًا؛ لأنه إذا وضع قناعه متى قال للميت: قم فإنه يقوم في الحين، وبأن أحدهم أحيا ميتًا فعاش بعد ذلك عمرًا طويلاً وتزوج وولد له.

وقد رأيت أن العلماء ذكروا أن المسيح كان يحيي الميت ثم يموت سريعًا بعد إقامة الحجة.

٢ ـ أن معجزات الأنبياء ـ وكذلك كرامات الأولياء ـ إنما تكون لغرض

---

(١) «روح المعاني» (٣/ ١٦٩).
(٢) «قصص الأنبياء» لابن كثير ص(٤٢٤).

صحيح وهو إقامة الحجة عند وجود المقتضى، ولذلك يقول الحافظ ابن كثير: «بعث اللَّه كل نبي من الأنبياء بمعجـزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عـليه السلام السحـر وتعظيم السحرة فـبعثه اللَّه بمعـجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار. وأما عيسى عـليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم بمـا لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة. فمن أين للطبـيب قدرة على إحياء الجماد أو على مداواة الأكمه والأبرص وبـعث من هو في قبره رهـين؟. وكذلك محمد صـلى اللَّه عليـه وآله وسلم بعثـه في زمن الفصحـاء والبلغاء ونـحارير الشعراء فـأتاهم بكتاب اللَّه عز وجل، لو اجتمعت الإنـس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثلـه أو بسورة من مثله لم يستـطيعوا أبدًا ولو كان بعضـهم لبعض ظهيرًا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبه كلام الخلق أبدًا»[١] .

ومن هنـا ذهب معظم المفـسرين إلى أن المسيـح عليه السلام فـعل ذلك بطلب من بني إسرائيل على سبيل التعنت كعادتهم مع أنبيائهم[٢] .

ومن تَأَمَّلَ كلام الصـوفية في هذا الأمر علم أن قولهم يـغاير هذا تمامًا، حيث إن حكـاياتهم في إحياء الأولـياء للموتى تصـفهم بأنهم يفـعلون ذلك لسبب ولغـير سبب، وهذا يبطل قيـاسهم؛ لأن المسيح عليـه السلام إنما كان يفعل ذلك عندما يطلبه قوم على سبيل التحدي، فينصره اللَّه نصرًا لدينه.

٣ ـ أن قياس الأولياء على المسيح في هـذا الموضوع يخالف مذهبهم في المسيح نفـسه، حيث رأوا أن طبيعته مخـالفة لطبيعة البشـر ولذلك كان قادرًا على إحياء الموتى.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٦).

(٢) «روح المعاني» (٣/ ١٧٠).

يقول الشيخ رشيد رضا: «ومقتضى مذهب الصوفية أن روحانية عيسى كانت غالبة على جثمانيته أكثر من سائر الروحانيين؛ لأن أمه حملت به من الروح الذي تمثل لها بشرًا سويًّا فكان تجرده من المادة الكثيفة للتصرف بسلطان الروح من قبيل الملكة الراسخة فيه وبذلك كان إذا نفخ من روحه في صورة رطبة من الطين تحلها الحياة حتى تهتز وتتحرك وإذا توجه بروحيته إلى روح فارقت جسدها أمكنه أن يستحضرها ويعيد اتصالها ببدنها زمنًا ما. ولكن روحانية البشر لا تصل إلى درجة إحياء من مات فصار رميمًا ويؤيد ذلك ما ينقله النصارى من إحياء المسيح للموتى فإنهم قالوا: إنه أحيا بنتًا قبل أن تدفن. ولم ينقل أنه أحيا ميتًا كان رميمًا»[١].

قلت: وهذا الذي ذكر الشيخ أنه مذهب الصوفية في المسيح عليه السلام يتفق مع كلام ابن عربي نفسه حيث قال: «ولما كان عيسى عليه السلام روحًا كما سماه اللَّه وكما أنشأه روحًا في صورة إنسان ثابتة، وأنشأ جبريل في صورة أعرابي غير ثابتة، فكان عيسى يحيي الموتى بمجرد النفخ ثم إنه أيده بروح القدس، فهو روح مؤيد بروح طاهرة من دنس الأكوان»[٢].

فمقتضى هذا الكلام أن إحياء الموتى - بإذن اللَّه - من خصوصيات المسيح، وليس لغيره من البشر لا من الأنبياء ولا من غيرهم، ومما يؤيد هذه الخصوصية دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ**﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فإنه عليه السلام لو كان من شأنه إحياء الموتى لما دعا بمثل هذا الدعاء،

---

(١) «تفسير المنار» (٣/ ٣١٢).

(٢) «الفتوحات» (٣/ ٩٤).

وإذا انتفى كون إحياء الموتى من معجزات نبي آخر غير المسيح قوي انتفاؤه عمن دون الأنبياء من الأولياء الصالحين.

والعجيب أن الخواص صاحب هذا القياس أقر بأن إحياء الموتى من الأفعال الخاصة بالله تعالى[١] .

● يضاف إلى هذا قول الإمام الشاطبي: الكرامة التي يكرم بها أحد من هذه الأمة لا بد أن يكون لها أصل من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢] . ومعلوم أن نبينا عليه الصلاة والسلام لم ينقل عنه أنه أحيا ميتًا.

٤ ـ إننا نعلم يقينًا أن المسيح عليه الصلاة والسلام نبي مرسل معصوم من الشرك والنفاق والسحر والشعوذة، وأما من ليس بنبيّ ولم يرد نص شرعي على سلامته من ذلك فمهما كان ظاهر حاله على الصلاح والاستقامة فلا يستطيع أحد أن يجزم بكونه وليًا من أولياء الله تعالى.

وعلى هذا فلا نتجاسر على إلحاق ما يظهر على يد من هذا حاله بالكرامات التي يكرم الله بها عباده الصالحين عند الحاجة؛ ذلك لأن باب الشعوذة والسحر باب واسع جداً يدخل فيه جميع أنواع الخوارق حتى إحياء الموتى تخييلاً. روى البخاري في «تاريخه» وغيره عن أبي عثمان النهدي[٣] قال: كان عند الوليد يعني ابن عقبة ـ رجل يلعب فذبح إنسانًا وأبان رأسه فعجبنا فأعاد رأسه. فجاء جندب ـ يعني: ابن كعب الأزدي ـ فقتله. وفي

---

(١) انظر: «الجواهر والدرر» ص(١٣٠ ـ ١٣١).

(٢) انظر: «الموافقات» (٢/ ٢٦٢).

(٣) أبو عثمان النهدي اسمه عبد الرحمن بن مل (بميم مثلثة ولام مثقلة) مشهور بكنيته تابعي من الأجلة، أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يلقه، توفي سنة (٩٥هـ) عن (١٣٠سنة) أو أكثر. انظر: «التقريب» رقم (٤٠١٧).

رواية مطولة: «فقال الناس: سبحان اللَّه يحيي الموتى؟ ورآه رجل صالح من المهاجرين فنظر إليه فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب يلعب لعبه ذلك، فسل الرجل سيفه فضرب عنقه، وقال: إن كان صادقًا فليحيي نفسه»(١) .

ولا ريب أن اتخاذ الخوارق معيارًا لمعرفة أولياء اللَّه تعالى وعباده الصالحين منهج غير سليم. قال الشاطبي:

«ليس كل ما يظهر على يدي الإنسان من الخوارق بكرامة، بل منها ما يكون كذلك، ومنها ما لا يكون كذلك، وبيان ذلك أن أرباب التصريف بالهمم والتقربات بالصناعة الفلكية والأحكام النجومية قد تصدر عنهم أفاعيل خارقة، وهي كلها ظلمات بعضها فوق بعض ليس لها في الصحة مدخل ولا يوجد لها في كرامات النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم منبع»(٢) .

ويقول شيخ الإسلام ـ ردًا على المبتدعة الذين جعلوا من الخوارق مقياسًا للولاية والصلاح ـ: «جوزوا الكرامات لكل من زعم الصلاح ولم يقيدوا الصلاح بالعلم الصحيح والإيمان الصادق والتقوى، بل جعلوا علامة الصلاح هذه الخوارق، وجوزوا الخوارق مطلقًا، وحكوا في ذلك مكاشفات وقالوا أقوالاً منكرة»(٣) .

قلت: القصد في هذا أننا إذا رأينا من ظاهره الصلاح أحسنا به الظن

---

(١) «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٢٢) ترجمة (٢٢٦٨)، وأخرجه الطبراني برقم (١٧٢٥)، والدارقطني في «السنن» (٣/ ١١٤) إلا أنه عزا القصة لجندب البجلي، وذكرها الذهبي في «سير النبلاء» (٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦)، وفي «تاريخ الإسلام» (٣/ ٣)، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) «الموافقات».

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٣٦٤).

ولم نجزم بكون المعين وليًّا للَّه تعالى؛ لأن ذلك يعتمد على معرفة ما في القلوب والسرائر وهي من الخصائص الربانية.

وجملة القول: إن قياس الأولياء بالمسيح في هذا الباب قياس فاسد للفوارق التي ذكرناها، واللَّه الموفق»[١] .

● وانظر العجب العجاب من قول المفترين:

يقول ـ ابن ضيف اللَّه ـ في «طبقاته»:

«مرضت فاطمة بنت عبيد مرضًا شديدًا أشرفت فيه على الموت فجاء أحد الفقهاء إلى الشيخ خوجلي فأعطاهم ماء لتشربه المريضة غير أنها مجّته لأنها كانت في سكرات الموت. ومن حينه دخل الشيخ خلوته، وفي آخر الليل تكلمت المرأة، وقالت: أنا طيبة، رأيت الشيخ خوجلي[٢] واقفًا بجانب البيت فوكزني بعصاه، وقال لي: قومي. ومن وقته قام ذلك الفقيه إلى الشيخ فوجد ولده الذي قال له: إن الشيخ لا زال في خلوته إلى الآن. فقال الشيخ: لقد غلبت كنا أنا وملك الموت نتنازع في روح بنت عبيد فتركها لي»[٣] .

فهنا يتساءل الواقف على هذه القصة لماذا حضر ملك الموت إذا لم يكن أجل المرأة قد انقضى؟ وإذا كان أجلها قد انقضى فكيف تمكن هذا الرجل من صرف الملك والغلبة عليه؟ علمًا بأن الملك نفسه ليس له من الأمر شيء وأنه مرسل من عند ربه لقبض الأرواح، وبأن المولى عز وجل قال ـ وقوله الحق

---

(١) «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» (٢/ ١٥٠ ـ ١٥٩).

(٢) هو خوجلي بن عبد الرحمن بن إبراهيم صوفي سوداني كثير الخوارق كما يحكى المترجم مات سنة (٩٢٠هـ).

(٣) «طبقات ابن ضيف اللَّه» ص(١٩٩).

وما عارضه الباطل ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، فلو كانت المسألة مسألة المغالبة والمصارعة وعرض العضلات أمام قابض الأرواح لكان للموت معنى آخر، ولكن هيهات ثم هيهات»(١) .

* إدعاء محيي الدين بن عربي موت فرعون مؤمنًا:

● يحكم شيخ فلاسفة الصوفية الأكبر وكبريتهم الأحمر «ابن عربي بنجاة فرعون موسى، يقول معقبًا على قوله تعالى: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾: «فيه قرّت عينها بالكمال الذي حصل لها، وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه اللَّه عند الغرق، فقبضه طاهرًا مطهرًا، ليس فيه شيء من الخبث»(٢) .

ويقول عن فرعون أيضًا: «فنجّاه اللَّه من عذاب الآخرة في نفسه، ونجّى بدنه فقد عمّته النجاة حسًّا ومعنى»(٣) .

واقرأ بقيّة ما فتراه في «الفص الموسوي» من كتابه الفصوص، ففيه يُفضّل فرعون على موسى!»(٤) .

● ولا نردّ عليه إلا بقول شيخ الصوفية أبي الفضل عبد اللَّه بن محمد ابن الصديق الغماري في كتابه «خواطر دينية» تحت عنوان (فرعون مات كافرًا): قال:

«نسب إلى الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الحاتمي ﷺ القول بقبول إيمان فرعون، وافترق الناس بعده ثلاث فرق: فرقة أيدته، منهم الجلال

---

(١) «تقديس الأشخاص» (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

(٢) «فصوص الحكم» لابن عربي بتحقيق الدكتور عفيفي ص(٢٠١).

(٣) «فصوص الحكم» ص(٢١٢).

(٤) «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل ص(٩٥) ـ دار الكتب العلمية.

الدواني الصديقي، وفرقة خطأته وتحاملت عليه منهم ملاّ علي القاري. وفرقة من الصوفية أوّلت كلامه بأنه لم يُرِد فرعون المعروف، وإنما أطلقه رمزًا على النفس في بعض أطوارها. لكن العارف الشعراني حقق في كتاب «اليواقيت والجواهر» نفي هذا القول عنه، ونقل نصوصًا من «الفتوحات المكية» فثبت كفر فرعون. وهذا هو اللائق بعلمه وذكائه، بل ولايته وما أُلهم من المعارف ـ ذلك أن كفر فرعون وعدم قبول إيمانه، ثابت بنص القرآن ثبوتًا قطعيًا ليس للاحتمال فيه مجال»(١). ثم سرد الأدلة ومنها: ﴿**يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ**﴾ وأخبر اللَّه تعالى أن فرعون عدو له ولرسوله موسى، والخبر لا يدخله نسخ، فهذا قاطع في أن فرعون مات كافرًا عدوًا للَّه ورسوله.

● ومنها: قوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ آمن فرعون عند المعاينة، وهو إيمان غير مقبول، لقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**﴾.

● ومنها: قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ**﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ**﴾ [هود: ٩٨ ـ ٩٩].

● ومنها: ﴿**فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً**﴾ وهذا أيضًا

---

(١) «خواطر دينية» لعبد اللَّه بن محمد الغماري ص(٢٤ ـ ٢٧) ـ مكتبة القاهرة.

خبر صحيح قاطع.

● وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ * فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٠ ـ ٢٥].

* قول قديم لإقبال عن الموت وخلود النفس تركه في آخر حياته:

قال إقبال: «إن النهاية ـ أي انقضاء الأجل ليس بلاء ـ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٢ ـ ٩٤]. وهذا أمر بالغ الأهمية ينبغي أن يفهم على وجهه الصحيح... فالإنسان... أو الذات المتناهية ـ بشخصيته المفردة التي لا يمكن أن يستعاض عنها بغيرها، سيقت بين يدي الذات غير المتناهية، ليرى عواقب ما أسلف من عمل وليحكم بنفسه على إمكانيات مصيره، ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ ـ١٤] ـ فأيًّا كان المصير النهائي للإنسان، فإنه لا يعني فقدان فرديته. والقرآن لا يعد التحرر التام من التناهي أعلى مراتب السعادة الإنسانية، بل جزاؤه الأوفى هو في تدرجه في السيطرة على نفسه، وفي تفرده وقوة نشاطه بوصفه روحًا، حتى أن منظر الفناء الكلي الذي يسبق يوم الحساب مباشرة لا يمكن أن يؤثر في كمال اطمئنان الروح التي اكتملت نموًا ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]. ومن يكون أولئك الذين ينطبق عليهم هذا الاستثناء، إلا الذين بلغت أرواحهم منتهى القوة. فالإنسان في نظر القرآن متاح له أن ينتسب إلى معنى الكون وأن يصير

خالدًا... إن كائنا اقتضى تطوره ملايين السنين ليس من المحتمل إطلاقًا أن يلقي به كما لو كان من سقط المتاع، وليس إلا من حيث هو نفس تتزكي باستمرار، إذ يمكن أن ينتسب إلى معنى الكون ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠]. وكيف تكون تزكية النفس وتخليصها من الفساد؟ إنما يكون ذلك بالعمل ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ [الملك: ١ ـ ٢] فالحياة تهيئ مجالاً لعمل النفس، والموت هو أول ابتلاء لنشاطها المركب، وليست هناك أعمال تورث اللذة، وأعمال تورث الألم، بل هناك أعمال تكتب للنفس البقاء أو تكتب لها الفناء. فالعمل هو الذي يعدّ النفس للفناء أو يُكيّفها لحياة مستقبلة. ومبدأ العمل الذي يكتب للنفس البقاء هو احترامي للنفس فيّ وفي غيري من الناس. فالخلود لا نناله بصفته حقًّا لنا، وإنما نبلغه بما نبذل من جهد شخصي والبعث إذن ليس حادثًا يأتينا من خارج، بل هو كمال لحركة الحياة في داخل النفس، وسواء أكان البعث للفرد أم للكون، فإنه لا يعدو أن يكون نوعًا من جود البضائع أو الإحصاء لما أسلفت النفس من عمل، وما بقيت أمامها من إمكانيات»[١].

يقول الدكتور محمد البهي:

«يلاحظ على تفكير إقبال أنه في محاولته شرح استمرار العالم، أو شرح

(١) انظر: «تجديد الفكر الديني في الإسلام» ص(١٣٤ ـ ١٤١)، و«الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» للدكتور محمد البهي ـ مكتبة وهبه ص(٣٩٨ ـ ٤٠٠) طبعة (١٩٧٥م).

خلوده وبقائه يرتفع في هذا الشرح عن المستوى الديني الذي يصوره الإسلام نفسه. وبذلك يبعد في تفسير النصوص التي استعان بها، عن مدلولاتها الطبيعية التي تلائم هذا المستوى... فإذا جعل البعث فترة «لجرد البضائع» وربط الدار الآخرة بالدار الدنيا في حياة الإنسان، فإنه يثير تساؤلاً عن «التكليف» من قبل الشرع ومدته، أهو في الدنيا والآخرة معا؟

فالإنسان في نظر إقبال مكلف في الدارين معا... ولكن الإسلام ينظر إلى الدنيا على أنها دار ابتلاء وامتحان، وينظر إلى الآخرة على أنها دار قرار وسكون، أي دار ينقطع فيها الامتحان والأختبار»[١] .

ويقول سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: ... أراد إقبال أن ينفض عن الفكر الإسلامي وعن الحياة الإسلامية ذلك الضياع والفناء والسلبية، كما أراد أن يثبت للفكر الإسلامي واقعية «التجربة» التي يعتمد عليها المذهب التجريبي، ثم المذهب الوضعي!، ولكن النتيجة كانت جموحًا في إبراز الذاتية الإنسانية: اضطر معه إلى تأويل بعض النصوص القرآنية تأويلاً تأباه طبيعتها، كما تأباه طبيعة التصور الإسلامي. لاثبات أن الموت ليس نهاية للتجربة، ولا حتى القيامة فالتجربة والنمو في الذات الإنسانية مستمران أيضًا، عند إقبال ـ بعد الجنة والنار، مع أن التصور الإسلامي حاسم في أن الدنيا دار ابتلاء وعمل، وأن الآخرة دار حساب وجزاء. وليست هناك فرصة للنفس البشرية للعمل إلا في هذه الدار، كما أنه لا مجال لعمل جديد في الدار الآخرة بعد الحساب والجزاء»[٢] .

---

(١) «الفكر الإسلامي الحديث» للدكتور محمد البهي ص(٤٢٥).

(٢) «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» لسيد قطب ص(٢٣) ـ دار الشروق.

والحمد للَّه قد تراجع إقبال عن رأيه هــذا في آخر حياته على ما شهد به الأستاذ المودودي بأنه عاد صــحيح العقيدة في أيامه الأخيرة انــظر: «إقباليات للمودودي» ص(٣٣)»[١] ا. هـ.

* رجـاء جارودي ومـفهـومة لـلبعـث بـعد المـوت المخالـف للإسلام:

يقول رجاء جارودي: «إن الحساب الأخير ليــس حسابًا أخيرًا يعقب هذه الحيــاة، فاللَّه لــيس في الزمــان بما يتضــمنه الزمــان من تعاقــب بين القبــلي والبعدي، والاعتراف بالحــساب الأخير لا يعني إذن مقارنته بمحــكمة إنسانية، فالحساب الأخير، لــيس هو الأخير في الزمان. . . فحســاب اللَّه هو الحساب الأخير في قيمته النهائية»[٢] .

• مفهوم البعث عند جارودي:

يقول جارودي: «البعث ليس ظاهرة كيميائــية غريبة يُسوّى بموجبها لحمنا ودمنا وعظامنا من جديد.

إن الأمر يتعلق بمثل ضربه اللَّه لنا، وهو اللغة الوحيدة التي اعتمدها اللَّه المتعالي الذي ليس كمــثله شيء ليوحي إلينا بحقيقته الــتي لا تدركها حواسنا ولا فهمنا، فالبعث ممكن كل يوم؛ لأن قدرتنــا على تقويم ماضينا تمكننا رغم هفواتنا وذنوبنا من بعث إنسان جديد واع»[٣] ،[٤] .

---

(١) «محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية» لخليل الرحمن عبد الرحمن ص(١٩٤ ـ ١٩٩) ـ دار حراء.

(٢) «مقدمة بقلم جارودي لكتاب محسن الميلي «المشكلة الدينية» ص(٧).

(٣) مقدمة بقلم جارودي لكتاب محسن الميلي «المشكلة الدينية» ص(٨).

(٤) «فكر جارودي بين المادية والإسلام» لعادل التل ص(٤٩ ـ ٥٣) ـ دار البيئة.

* إنكار البرزخ مطلقًا كما يفتري «القرآنيون»:

في بنجاب بأواسط الهند سنة (١٩٠٢م) أظهر «غلام نبي»: المعروف بعبد اللَّه جكْرالَوي «مؤسس الحركة القرآنية» نشاطه الهدّام بإنكار السنة كلها وأسس جماعة «القرآنيين» أو «أهل الذكر والبلاغ»، ودعا هو ـ ومن كان على فريته إلى إنكار عالم البرزخ مطلقًا، ولا يشذ واحد من هذه الجماعة الضالة والفرقة المنحرفة عن إنكار عالم البرزخ، وأقوال كبار دعاتها تعلن ذلك جهاراً نهاراً: محب الحق عظيم أبادي، وأحمد الدين الأمْرَتْسرِّي والحافظ أسلم جراجبوري، وغلام أحمد برويز.

● يقول محب الحق عظيم أبادي: «اللَّهم امح وثنية البرزخ كما محيت الأصنام من جوف الكعبة»[1] .

● ويقول الحافظ أسلم جراجبوري على لسان أصحابه: «عالم البرزخ عالم موات، لا حياة فيه، ولا إدراك بأي شكل من أشكاله»[2] .

● ويقول غلام أحمد برويز: «القبر لا حقيقة له بروح القرآن الكريم؛ لأنه مدفن جسم ميت يقي الجو الخارجي من عفونته ما لو بقي ذلك الجسم على ظهر الأرض بارزًا، لا أنه موضع سؤال وعذاب؛ لأن الجسم المدفون في القبر لا حياة فيه ولا شعور»[3] .

---

(١) «محب الحق منهاج الحق» ص(٤٩) نقلاً عن «القرآنيون» لخادم حسين إلهي ص(٢٠ ـ ٢١) مكتبة الصديق.

(٢) «تعليمات قرآن» ص(١٩٠)، و«نكات قرآن» ص(١٥٧)، و«تاريخ نجد» ص(٦٥)، و«منهاج الحق» ص(٦٨)، و«ترجمة القرآن للجزء الثامن عشر» ص(٥١)، و«للجزء الرابع» ص(٥٤)، و«للجزء السابع» ص(٩٥)، و«مجلة إشاعة السنة» (١٩/ ٢١٠) عام (١٩٠٢م)، ومجلة «بلاغ القرآن» ص(٢٧، ٣٣) عدد يناير وفبراير ص(١٩٦٨م). هذه كتب القوم الداعية إلى ذلك.

(٣) «تبويب القرآن» (٣/ ١٣٠٤) لبرويز.

● ويقول محب الحق عظيم أبادي: «إن الموت اسم لانقطاع الروح عن الجسد، والجسم الذي فارقته الروح جماد لا حياة فيه ولا إدراك، فتعذيبه محال، ومَن شك في ذلك فليحفر قبراً بعد دفن الميت فيه، فلن يرى إلا جسداً عاريًا عن المثوبة والعقوبة»[١] .

● ويقول الحافظ أسلم: «الحياتان هما حياة الدنيا وحياة يوم القيامة، أما القبور فلا حياة فيها، والإماتتان هما إماتة طور النطفة، وخروج النفس الأخير في هذه الحياة المعاصرة، فظهر أن فترة البرزخ لا حياة فيها وفق نص القرآن»[٢] هذا على زعم هذا الزنديق.

● بل ويقول عبد اللَّه الجكرالوي مؤسس هذه الفرقة المارقة عن الشهداء «ليس المراد من أنهم أحياء الآن، بل باعتبار ما سيكونون عليه يوم القيامة»[٣] كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

* إنكار عذاب القبر:

● قال أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين»:

«واختلفوا في عذاب القبر:

- فمنهم من نفاه، وهم المعتزلة والخوارج.

- ومنهم من أثبته، وهم أكثر أهل الإسلام.

- ومنهم من زعم أن اللَّه ينعّم الأرواح ويؤلمها، فأما الأجساد التي في قبورهم فلا يصل ذلك إليها وهي في القبور»[٤] .

---

(١) «منهاج الحق» ص(٦٨) لمحب الحق.

(٢) «تعليمات قرآن» ص(١٩٠).

(٣) «ترجمة القرآن» (٤/ ٥١).

(٤) «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» لأبي الحسن الأشعري تحقيق محمد محيي الدين (٢/ ١١٦) طبعة خاصة.

● وقال ابن حزم:

«ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر. وهو قول من لقينا من الخوارج.

وذهب أهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي وسائر المعتزلة إلى القول به.

وبه نقول لصحة الآثار عن رسول اللَّه ﷺ»[(١)].

● «وأنكرت الملاحدة ومَن تمذهب بمذهب الفلاسفة من الإسلاميين عذاب القبر، وقالوا: ليس له حقيقة، واحتجوا لذلك بأنهم يفتحون القبور فلا يرون شيئًا مما أخبرت به النصوص»[(٢)].

● نقل الشيخ عمر سليمان الأشقر في مبحث «هل العذاب في البرزخ على الروح أم على البدن أم على كليهما» قول الفرق المائلة عن مذهب أهل السنة والجماعة فقال بعد أن نقل في القول الأول مذهب أهل السنة والجماعة:

«**الثاني**: قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين ينكرون النعيم والعذاب في البرزخ مطلقًا، والسر في ذلك أنهم ينكرون وجود روح مستقلة عن الجسد، فالروح عندهم هي الحياة، ولا تبقى الروح في نظرهم بعد الموت[(٣)]، فلا نعيم ولا عذاب حتى يبعث اللَّه العباد، قال بذلك بعض المعتزلة والأشاعرة كالقاضي أبي بكر، وهذا قول باطل لا شك في بطلانه خالفه أبو المعالي الجويني، وقد نقل غير واحد من أهل السنة الإجماع على أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة.

---

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١١٧) لابن حزم ـ نشر مكتبة عكاظ.

(٢) «التذكرة» للقرطبي ص(١٢٥)، و«القيامة الصغرى» لعمر سليمان الأشقر ص(٤٩).

(٣) «هؤلاء وإن أنكروا عذاب القبر إلا أنهم يثبتون معاد الأبدان».

الثالث: قول الفلاسفة الذين يرون أن النعيم والعذاب على الروح وحدها، وأن البدن لا يُنعم ولا يعذب[١] ، وقد قال بهذا القول من أهل السنة ابن ميسرة وابن حزم»[٢] .

يقول ابن حزم: «إن فتنة القبر وعذابه والمساءلة إنما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد إثر ذلك، قُبر أو لم يُقبر»[٣] .

قال الشيخ الأشقر:

«**الرابع**: قول من قال من علماء الكلام إن الذي يُنَعم ويعذب في القبر البدن وحده، وقال بذلك طائفة من أهل الحديث منهم ابن الزاغوني»[٤] .

* * *

---

(١) هؤلاء وإن أثبتوا عذابًا ونعيمًا للروح بعد فراقها للبدان إلا أنهم ينكرون المعاد.

(٢) «القيامه الصغرى» للدكتور عمر سليمان الأشقر ص(١٠٧ ـ ١٠٨) دار النفائس.

(٣) «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١١٧).

(٤) «القيامة الصغرى» ص(١٠٨)، وراجع في هذه المسألة «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٤/ ٢٦٢، ٢٨٢).